الصابئة نشأتهم وعقائدهم

بحث أعده

أ.د/ أحمد فهمي علي محمد

أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين. أما بعد.

فلقد أرسل الله الأنبياء والرسل مبلغين ومنذرين وليخرجوا أقوامهم من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان حتى أتم الله رسالاته ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم .

فمع مولد البشرية كان ميلاد عقلها وميلاد عقيدتها ، وكلما سارت الإنسانية في طريقها نحو النمو والتكامل صاحبتها عقيدتها في تلك الطريق، يهديها نور النبوات وتوجهها رسالات السماء إلى الحق وإلى الله تعالى، ولما كتب الله للبشرية أن تنضج وترقى، وتعرج في معارج من الكمال والسمو كتب كذلك للشريعة أن تتدرج في مجالات النمو والسمو والتكامل، حتى وصلت كاملة في النهاية إلى أكمل الخلق وخاتم الأنبياء ورسول الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإلى هذا جاءت الإشارة في قوله الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (١).

وإذا كانت تعترى الإنسانية فترات ما تبدو فيها أنها طرحت وراءها رداء الدين، أو عاشت في فراغ ديني أو عقدي، فما ذاك إلا

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٣.

نـــوبة طارئة لا تلبث بعدها إلا أن تعود إلى حظيرة الإيمان وترجع إلى ساحة الحق.

يقـــول العقـــاد فـــي كتاب "الله" ففي الطبع الإنساني جوع إلى الاعتقاد كجوع المعدة إلى الطعام، حق لا يقبل المرء أن الحاسة الدينية بعـــيدة الغور في طبيعة الإنسان، وحتى لا يقبل المرء أن الإنسان يجب أن يؤمن ولا يستقر في وسط هذه العوالم بغير إيمان، وهو قد وجد في وســـط هذه العوالم إلا مراء، فإذا كان الإيمان هو الحالة التي يتطلبها مـــنه وجوده. فضعف الإيمان شذوذ يناقض طبيعة التكوين ويدل على خلـــل فـــي الكـــيان، وقد اتفق علماء المقابلة بين الأديان على تأصل العقـــيدة الدينية في طبائع بني الإنسان من أقدم أزمنة التاريخ[1] ولقد جاءت الإشارة في القرآن الكريم إلى أديان متعددة وعقائد متباينة ومن بين هذه العقائد"الصابئة".

وذلـــك فـــي قـــول الله تعالـــى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالـــصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [2] .

وكذلك أشار القرآن إليهم في سورتي المائدة الآية ٦٩ وسورة الحج الآية ١٧.

مـــن هـــنا وجدت في نفسي رغبة ملحة للتعرف على الصابئة وعقائدهم وخصوصا إننا وجدنا من سبقنا من العلماء الأفاضل قد كتب عـــن اليهود والنصارى والمشركين والمجوس، أما الصابئة فقد كانت

---

(١) انظر: كتاب "الله" عباس محمود العقاد ص٨.

(٢) سورة البقرة الآية ٦٢.

الكتابة فيها نادرة بل لا نكون مبالغين إن قلنا بأن هذه الفرقة وعقائدها قد اكتنفها شئ من الغموض.

وبناء على هذا استعنت بالله تعالى وشرعت في الكتابة في هذا الموضـــوع لأكشف النقاب عنهم مبينا عقائدهم. مستعينا في ذلك بالله أولا. وبما كتب عنهم في ثنايا الكتب والمؤلفات.

وعلى الله قصد السبيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أعـــــده

أ.د/ أحمد فهمي علي محمد

أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

✦ الأصل الإشتقاقي لكلمة صابئة :

أصـــل كلمة صابئة من صبا بالهمز، ومعناها مال وانحرف أو انتقل من دين إلى آخر، يقول ابن الجوزي إن أصل كلمة الصابئين من قـــولهم صـــبأت إذا خـــرجت من شيء إلى شيء، وصبأت النجوم إذا ظهـــرت، وصـــبأ به إذا خرج، والصابئون هم الخارجون من دين إلى دين[١].

وصـــبأ من شيء إلى شيء صبوءاً: انتقل، ويقال صبأ الرجل: ترك دينه ودانِ بدين آخر، فهو صابئ، والصابئون من يتركون دينهم ويدينون بدين آخر[٢].

والـــصابئة جمـــع صـــابئ وهـــو الكافر أو الخارج من دينه، والـــصابئة فـــي اللغة كل من خرج من دين كان عليه إلى آخر غيره، والـــصابئ كما يقول صاحب كتاب روضات الجنان، من كان دينه عبادة النجوم والإقرار بالصانع والمعاد وببعض الأنبياء، بشيث وإدريس دون غيرهما أو لم يؤمن برسول أم لا دين له"[٣].

وفـــي الكنـــز قيل إن الصابئة يعبدون الملائكة ويتلون الزبور، وقيل في القاموس، أنهم كانوا على دين نوح.

وسمى الصابئة بهذا الاسم لأنهم مالوا عن سنن الحق وزاغوا عـــن نهـــج الأنبياء ، وخرجوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٧٤، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية ص٣٥٨.

(٣) انظر روضات الجنان للخونساري حـــ٢، ص١٦٢.

الملائكـــة، وهـــم بخروجهم عن الديانات السماوية قد وضعوا لأنفسهم شـــرائع خاصـــة بهم تتفق ومعتقدهم الديني المبنى على الاعتقاد بأن القوة المسخرة لهذا الكون تخلق على رأس كل حقبة من الزمن زوجين مـــن الكائـــنات الحية نباتا وحيوانا وإنسانا، تتجدد كل حقبة من الزمن بكائـــنات حـــية أخـــرى، وقد ترتب على هذا الاعتقاد إيمانهم بتناسخ الأرواح.

وبالجملة فالصابئون لا يقولون بالشرائع، وإنما مذهبهم القول بالمحـــسوس والمعقـــول والحدود والأحكام، ولا يقولون بالشريعة ولا بالإسلام[1].

✦ متى سموا بالصابئة:

الـــصابئة هم جماعة من الناس اتخذوا من مدينة حران موطنا لهـــم وحران هي والرفة من ديار "مضر" بالضاد المعجمة، وهي مدينة قلـــيلة الماء والشجر تربتها حمراء. وشرب أهلها من قناة تجرى من عيون خارج المدينة ومن الآبار، اشتهرت هذه المدينة بفصاحة اللسان الـــسرياني التـــي يتكلمه أهلها، وزادت شهرتها لنبوغ أبنائها وبخاصة أسرتي آل قرة وآل زهرون في العلم والفلسفة، ومن أشهرهم ثابت بن قـــرة وســـنان بـــن ثابـــت، وهـــلال بن عبدالمحسن، وغرس النعمة وغيـــرهم[2] والـــصابئون عاشوا في ظل الإسلام محافظين على دينهم الوثني قرابة قرنين ونصف دون أن يتلفت إليهم أحد".

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني حـــ٢، ص٤.

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية المجلد ١٤ ص٥٦ طبعة الشعب.

والعرب وإن تعرفوا إلى الصابئة قبل الفتح، وزاد اتصالهم واحتكاكهم بها بعده إذ زاع شأنهم في عهد الرشيد أو قبيل عهده، ووقف الخلفاء الأمويون وخاصة المتأخرون منهم على أحوالهم فإن الصابئة لم يعرفوا بهذا الاسم إلا في عصر الخليفة المأمون، وأطلقت عليهم هذه التسمية في القرنين الثالث والرابع من الهجرة التاسع والعاشر الميلادي كما يقول جبور عبدالنور [1].

وهذا الذي يقوله جبور عبدالنور بأن هذه التسمية أطلقت على القوم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة مخالف للحقيقة وذلك لأن اسم الصابئة ورد ذكرهم في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] وورد ذكر الصابئة أيضا في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3].

كما ورد ذكر الصابئة في سورة الحج وذلك في قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[4]، ففي هذه الآيات قد جاء اسم الصابئة إلى جانب أهل الكتاب

---

(١) الصابئة وأثرها في الفكر العربي -مجلة الكتاب- المجلد الثاني حـ٧ ص٥٧.

(٢) سورة البقرة الآية ٦٢.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٩.

(٤) سورة الحج الآية ١٧.

مـــن المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا مما يدل علـــى أن التـــسمية لحقت بالقوم قبل الزمن الذي حدده الأستاذ جبور بقـــرون ولعـــل الـــذي دفع جبور عبدالنور إلى قوله هذا هو الاختلاف الكبير حول تحديد هوية الصابئة عند المؤرخين كما سنوضحه فيما بعد حـــيث وجـــدنا من ينسبهم إلى اليهود، ومنهم من ردهم إلى النصارى ونسبهم إلى يوحنا المعمدان.

والـــذي ذكـــره جـــبور عبدالـــنور وافقه عليه ابن النديم في الفهرســـت حيث ذكر أن الخليفة المأمون عندما توجه لمحاربة الروم عام ٢١٥هـــ- ٨٣٠م اجتاز ديار مضر ماراً بالقرب من مدينة حران، وخـــرج الناس لتحيته يدعون له بالنصر وفيهم الصابئة كانوا يلبسون الأقبـــية وأزياء غريبة، ويرسلون شعورهم فارتاب الخليفة من أمرهم وتعجب من مظهرهم خاصة وأن ملابسهم الغريبة لا تدل على أنهم من أهـــل الكـــتاب وتأكد ظنه عندما سألهم عن دينهم فتعثروا في الإجابة، فـــأدرك أنهم من عبدة الأوثان فاتهمهم بالزندقة وهددهم بالقتل إن لم ينـــتحلوا دينا من الأديان السماوية المنزلة، وأنظرهم إلى حين عودته مـــن حملـــته، فأيقنوا أنهم لا محالة هالكين بعد أن وقف الخليفة على حقـــيقة أمرهم، فتنصر فريق منهم واعتنق اليهودية فريق أخر وأسلم بعضهم، بينما بقي منهم شرذمة متمسكة بدينها مشفقة أن تخرج منه، ســـاعدهم علـــى ذلـــك فـــتوى أحد فقهائهم من أهل حران بأن نجاتهم وتمـــتعهم بحقوق أهل الكتاب مرهونة بأن يتسموا بالصابئة لأنها من الأديـــان التـــي وردت فـــي القرآن الكريم، ففعلوا بما أفتى به وغيروا ملابـــسهم وحلقوا رؤوسهم وانتحلوا هذا الاسم وعرفوا من ذلك الحين بالصابئة.

فتسميتهم بالصابئة كانت إذن خوفا من بطش المأمون، ولما علموا بنبأ وفاته ارتد من تنصر منهم ورجع إلى الحرنانية شكلا موضوعا بينما لم يتمكن من أسلم منهم من الارتداد خوفا من أن يقتل فتستروا بالإسلام، وتزوجوا بنساء حرنانيات جاعلين الولد الذكر مسلما والأنثى حرنانية بالرغم من معارضة شيوخ أهل حران وفقهائها لمسلكهم هذا، خاصة وأن النساء الحرنانيات ليسوا من أهل الكتاب وبالتالى لا يحل للمسلمين الزواج منهن"[1].

✦ حقيقتهم ونشأتهم:

لم يختلف العلماء والمفسرون ورجال البحث العلمي والمؤرخون قدر اختلافهم في شأن الصابئين وتاريخهم وطقوسهم وعقيدتهم، لم يعرفوا الكلمة الأخيرة في هذا المجال، ولم يقتربوا منها، بل اتجهوا اتجاهات مختلفة حينا ومتناقضة أحيانا.

فالصابئة هل هي ملة أرضية تؤمن بظواهر الطبيعة؟ أم تتخذ الأصنام إلهة ؟ أم تعبد الكواكب والأجرام السماوية ؟ أم هي طائفة تؤمن بكثير من الأنبياء؟ وهل هي ديانة قديمة موغلة في القدم أم هي فرقة من النصارى لها بعض ما للنصرانية من طقوس وتقاليد دينية، وهل الصابئة هم من كانوا على دين صابئ بن شيث بن آدم ؟أم هي طائفة من اليهود أم هم قوم بين اليهود والمجوس؟

عن كل هذا وغيرهم تحدثت مصادر ومراجع عربية كثيرة قديمة وحديثة فالمسعودي في "مروج الذهب" والتنبيه والإشراف" يذكر

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص٤٥٠، وانظر أيضا نخبة الدهر في عجائب البر والبحر للدمشقي ص٤٥.

الـصابئة في مواضع متعددة، ويطلق هذه التسمية على أقوام كثيرين، ويـشير في بعض الأحيان إلى ما بين من يسمون بالصابئة من اتفاق واختلاف في العقائد والشعائر.

ومؤسـس هـذه العقيدة هو "بوذاسب"[1] ،الذي كان هنديا وقد خـرج مـن أرض الهند إلى بلاد السند، وساح في مناطق متعددة من الهـند وفارس حيث تنبأ بأنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وخلقه، وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة، وقد كان أمر الناس بالزهد في هذا العـالم والاشـتغال بما علا من العوالم، إذ كان من هناك بدء النفوس وإلـيها يقـع الـصدر من هذا العالم، وجدد عند الناس عبادة الأصنام والـسجود لها لشبه ذكرها. وقرب لعقولهم عبادتها بضروب من الحيل والخداع"[2].

ويذكـر المسعودي أنه يقال: أن هذا الرجل أول من أظهر أراء الصابئة من الحرانين والكيماريين، ويسمى الصابئة أيضا بالحنفاء، هذا المـذهب الـذي جاء به بوذاسب إلى طهمورث مالك فارس[3] ويورد المـسعودي أراء أخـرى عن الصابئة منها الرأي القائل بأن الصابئة ينـسبون إلـى صابئ بن متوشلخ بن إدريس الذي كان على الحنيفية الأولـى، ومنها نسبة الصابئة إلى صابئ ابن مارى الذي كان معاصرا لإبراهيم الخليل، ويقول أنه ذكر غير ذلك من الآراء في كتبه الأخرى.

---

(١) يـسمى المسعودي هذا الرجل: بوداسف" في كتابه مروج الذهب، وبوذاسب في التنبيه والإشراف ولعل هذا الاختلاف يعود إلى أخطاء الناسخ.

(٢) مروج الذهب حـ٢، ص٢٢٦.

(٣) مروج الذهب حـ١، ص٢٤٦.

يـبدو لنا أن المسعودي أطلق اسم الصابئين على هذه الأقوام المتعددة نظرا لما وجد بين عقائدهم من أوجه الشبه، وخاصة ما يتعلق بتأليـه الـنجوم وإكبارها، وفي رأيي أن المسعودي لم يأخذ بالمفهوم اللغـوي لكلمـة صابئة والذي يفيد بصورة عامة الخروج من دين إلى دين آخر[1].

هـذا مـا ذكره المسعودي عن الصابئة، وإذا تركنا المسعودي وانتقلـنا إلى غيره من المؤرخين الذين تكلموا عن الصابئة فإننا نرى أن اليعقوبـي تعرض لموضوع الصابئة في مواضع مختلفة من كتابه، فذكـر أن نبـيهم هو هرمس الذي هو إدريس كما يزعمون، ولكنه لم يذكر شيئا عن بوذاسف في حديثه عن طهمورث ملك فارس.

ولم يتحدث اليعقوبي عن صابئة حران، ولا عى صابئة البطائح ولا عما بين الصابئة من صلات، وقد خلا كتابه من الإشارات إلى كثير مما ذكره المسعودي[2].

ومن الذين تحدثوا عن الصابئة بشيء من التفصيل ابن النديم معـتمداً فـي حديثه على أحمد بن الطيب تلميذ الفيلسوف الكندي عن أسـتاذه ومما جاء في حديث ابن النديم، أن الصابئة يدعون إلى الله وإلى الحنيفية وأن من مشاهيرهم آراني وهرميس وربما صولون جد أغلاطـون[3] وقـد أورد ابن النديم معلومات واسعة عن هؤلاء وتحدث كثيرا عن طقوسهم وعباداتهم.

---

(١) تاج العروس في جواهر القاموس محمد مرتضى الحسيني ط ص ٩٣.

(٢) راجع تاريخ اليعقوبي حـ١، ص١١٩، ١٢٨.

(٣) الفهرست لابن النديم ص٤٥٦

وتحـــدث فـــي موضع آخر من كتابه عن "المغتسلة" ويسميهم صـــابئة البطائح ويذكر أن هؤلاء يقومون بالاغتسال، ويغسلون كل ما يأكلـــون، ويعظمون الكواكب ولهم تماثيل وأصنام، وهم عامة الصابئة المعروفين بالحرانيين وقيل أنهم غير ذلك جملة وتفصيلا[1].

أما البغدادي فلا يذكر عن هؤلاء سوى أيمانهم ببعض الأنبياء كهرمس وغيره من الفلاسفة [2].

وقـــد ذكر ابن حزم في كتابه "الفصل" كلامه عن الصابئة فذكر أن هـــؤلاء يقولون بالقدم وتعظيم الكواكب حيث يقربون لها القرابين. ولهـــم صـــلوات خمـــس في كل يوم وليلة، وتشبه عبادتهم كما يرى عـــبادات المـــسلمين من حيث الصوم والصلاة، وعدم أكل وشرب الدم والميتة ولحم الخنزير، ودينهم أقدم الأديان، وقد بعث الله إليهم إبراهيم الخلـــيل بالحنيفية الأولى، ويذكر أن هؤلاء كانوا قديما يسمون الحنفاء وبقاياهم بحران[3].

ويبـــين صـــاعد الأندلسي، أن الصابئة هم جمهور الهند الذين يقولون بأزلية العالم وتعظيم الكواكب وتقديم القرابين لها [4].

ويذكـــر "الاسفراييني" أن الصابئة يؤمنون بقدم العالم، وقد كانوا في بعض دينهم مع اليهود، وفي بعضه الآخر مع النصارى كما جاءوا من أنفسهم بأشياء خالفوا فيها الاثنين.

---

(١) المرجع السابق ٤٩١.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٩٥.

(٣) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص٣٤.

(٤) طبقات الأمم ص١٢.

مما سبق يتضح لنا أن اسم الصابئة أطلق على طوائف متعددة منها :

١- **الصابئة المندائية:** وهي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم والتي تعتبر يحي عليه السلام نبيا لها، يقدس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها، ويعتبر الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي وكذلك التعميد في المياه الجارية من أهم معالم هذه الديانة التي يجيز أغلب الفقهاء المسلمين أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى.

٢- **الصابئة الحنفاء:** وهم بمنزلة من كان تبعا لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل من اليهود والنصارى، وهؤلاء حمدهم الله وأثنى عليهم.

٣- **الصابئة المشركون :** فهم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون.

ولقد حقق شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الرد على المنطقيين، حقيقية الصابئة كما وردت في القرآن الكريم فقال ما حاصله:"إن الصابئة نوعان: صابئة حنفاء وصابئة مشركون.

أما الصابئة الحنفاء فهم بمنزلة من كان متبعا لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل من اليهود والنصارى، وهؤلاء حمدهم الله وأثنى عليهم، والثابت أن الصابئين قوم ليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي وهم قوم من المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، ولكنهم عرفوا الله وحده ولم يحدثوا كفراً، والصحيح أنهم كانوا موجودين قبل إبراهيم عليه السلام بأرض اليمن.

وأمـــا الصابئة المشركون فهم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون فهم يعبدون الروحانيات العلوية" [1].

عـــاش الصابئة فيما يعرف اليوم بالجزء الجنوبي الغربي من المملكـــة العـــربية السعودية وغرب اليمن حوالى عام ٧٠٠ ق.م. مع مجمـــوعة أخـــرى تـــسمى بالنبطيـــين، تحكمـــوا في الطرق التجارية الموجودة حاليا في شمال غرب المملكة العربية السعودية والأردن من منتصف عام ٤٠٠ ق.م. إلى حوالى عام ١٠٠ ميلادية.

وقـــد ذكـــر الصابئة في سجلات تاريخ الملوك الأشوريين في نهايـــة القـــرن الثامن قبل الميلاد، وعرفت قبائل شبه الجزيرة للكتاب القدامى في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وفي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد وهاجر الصابئة واستقروا في شمال إثيوبيا.

وقـــد ذهـــب ابن حزم إلى القول بانقراض الصابئة حوالى عام ٤٠٠هـــ ١٠٠٩م حتى لم يبق منهم في جميع الأرض سوى أربعين نفسها بينما يذكر صاحب كتاب الصابئة قديما وحديثا أن عدد الموجود منهم الآن لا يزيد على ٥٣٠٠ نسمة [2].

وذكـــر الـــشيخ الدخيل أن عددهم يربو على ١٠,٠٠٠ نسمة، والأمـــر فـــي النهاية راجع إلى الإحصاء الرسمي، ولكنا نرى أن التي بـــادت هي الحرنانية بينما بقيت الصابئة وهي تعيش في بغداد وجنوب العراق والجزائر والأهواز[3].

---

(١) انظر الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٥٤ وما بعدها.

(٢) الصابئة قيما وحديثا عبدالرازق الحسني ص٦١.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د./ على سامي النشار حـــ١، ص٢١٤.

ومن الخطأ فيما يرى الأستاذ عبدالرازق الحسني الاعتقاد بأن الصابئة انقرضت منذ ظهور المسيح عليه السلام، وأن الصابئين قد اندمجوا في الديانة النصرانية وحجته في ذلك أن القسم الكبير من الصابئة الحاليين يعتقدون بأصول المعتقد الأول الذي يرمي إلى تقديس الكواكب والنجوم[1].

وأنني لأشاركه في هذا الرأي خاصة وقد أثبتت العديد من الدراسات وجودهم حتى الآن ولعل من بينها ما أشار إليه د./ على سامي النشار حين قال: إن في عصورنا هذه نماذج حية لفرقة الصابئة مازال أفرادها يعيشون حتى الآن في العراق ويعرفون أيضا اسم نصارى يحيى ويؤمنون بحي كالمسيح الجديد، وينكرون نبوة عيسى أشد الإنكار[2] فالصابئة إذن ملة يبلغ عدد أتباعها عشرات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال، وهي على قلة عددها تستقل بلغة مقدسة خاصة، سنعرفها عند حديثنا عن الكتب المقدسة عندهم.

✦ موقف العلماء من فرق الصابئة:

سبق وأن ذكر جانبا من المواقف التي تناولها العلماء في حديثهم عن الصابئة، وإتماما للفائدة نذكر حديث من لم يرد ذكره فيما مضى من العلماء يقول ابن الجوزي: أن هناك أراء كثيرة في معني الصابئة مجملها أنهم قوم وسط بين دينيين سماويين، أو أنهم مشركون

---

(١) الصابئة قديما وحديثا ص١٥.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢١٩.

أو مجـوس أو فـرقة مـن أهـل الكتاب تقرأ الزبور وغير ذلك من الآراء[1].

أمـا فخـر الدين الرازي فيرى: أن هؤلاء عبدة الكواكب وهم مؤمـنون بأن مدبر العالم وخالق الكواكب السبعة والنجوم، الأمر الذي أدى بهم إلى صنع الأصنام وعبادتها[2].

وتأتـي كافة المعلومات التي أوردها الشهرستاني عن الصابئة مطابقـة لما أوردها الآخرون عنهم في مسائل الذبح والقرابين وعبادة الكواكب، ويفرق الشهرستاني بين الصابئة والحنيفية فيقول إن الصابئة هم عبدة الكواكب،أما الحنفاء فعباد الأصنام.

ويقـول فـي موضـع آخر: وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين، كما أن مذهب الحنفاء هو التعصيب للبشر الجسمانيين[3].

أما الخوارزمي فيذكر أن الكلدانيين هم الذين يسمون بالصابئة والحـرنانيين وبقاياهم بحران والعراق، ويزعمون أن نبيهم بوذاسف الذي خرج من الهند، وبعضهم يعظم هرمس" [4].

ولعـل أحـسن من توسع في هذا البحث وبين الفرق الصابئية مـستندا إلـى العقل وإلى النقل هو الإمام الآمدي، حيث ذكر في كتابه "أبكار الأفكار" أن أشهر فرق هذه الملة أربع وهي:

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٧٤.

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٩٠.

(٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني حـ٢، ص٥٨.

(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمي ص٢٥.

الفرقة الأولى: أصحاب الروحانيات: ويزعم أصحابها أن الكواكب الفلكية هياكل روحانية، أي هناك رابطة بين الإنسان وبين الإله المعبود.

الفرقة الثانية: أصحاب الهياكل.

وهذه الهياكل هي المدبرة لكل ما في عالم الكون.

الفرقة الثالثة: أصحاب الأشخاص، وهم الذين زعموا أنه إذا كان لابد من متوسط مرئي -فالكواكب وإن كانت مرئية إلا أنها قد ترى في وقت دون وقت لطلوعها وأفولها وظهورها نهاراً- فدعت الحاجة إلى وجود أشخاص مشاهدة نصب الأعين تكون وسيلة إلى الهياكل التي هي وسيلة إلى الروحانيات التي هي وسيلة إلى الله تعالى. فاتخذوا لذلك أصناما وصورة على صور الهياكل السبعة، كل صنم من جسم مشارك في طبيعته لطبيعة ذلك الكوكب.

الفرقة الرابعة: الحلولية وهم الذين سماهم ابن بطوطة بالحرانية، وهؤلاء قالوا أن الإله واحد في ذاته وأنه خلق إجرام الأفلاك وما فيها من كواكب، وجعل الكواكب مدبرة لما في العالم السفلي، والإله يظهر ويحل في الكواكب السبعة ويتشخص بأشخاصها من غير تعدد في ذاته"[1].

وكذلك ساق الباحث المعاصر الأستاذ "محمد عزة دروزه" في كتابه عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة -ساق حديثا عن الصابئين وعن الآية القرآنية التي تعرضت لذكرهم وعن آراء المفسرين فيها فقال:

---

(١) انظر كتاب أبكار الأفكار للآمدي.

إن المفسرين قالوا عن هؤلاء الصابئيين إنهم:

١- طائفة من المجوس.

٢- عبدة الملائكة.

٣- عبدة الكواكب.

٤- يعبدون الشمس ويصلون لها خمس مرات في اليوم.

٥- بين اليهود والنصارى يقرون بالله ويقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة قد أخذوا من كل دين شيئاً.

٦- إن أصل دينهم هو دين نوح.

٧- أنهم الذين لا دين لهم. (١)

وقد غاب عن المفسرين أن ذكر المجوس والمشركين في آية الحج مع الصابئة ينبغي أن يبعدهم عن المجوسية والشرك الذي منه عبادة الكواكب والملائكة مع الله".

وأن ذكرهم في أيتى البقرة والمائدة مع المؤمنين واليهودي والنصارى أي مع الموحدين توحيدا صريحا أو مؤولا يسوغ القول أنهم هم الأخرون موحدون بشكل من الأشكال.

ونذكر العرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للذي يفارق دين آبائه ويدخل في دين جديد "صابئ" وأنهم سموا النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم وسموا به المسلمين الأولين لأول عهد الإسلام وكانوا يقولون عنهم:"الصبأة والصابئين، ففي قصة إسلام عمر رضي الله عنه التي ذكرها ابن هشام.

---

(١) عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة، للأستاذ محمد عزة دروزة ص٤١٩.

أن عمـــر رضـــي الله عنه كان يقول عن النبي صلى الله عليه وســـلم أنه صابئ وأنه لما أسلم وجاء لأول مرة بعد إسلامه إلى فناء الكعـبة شـــامخ الأنـــف قال المجتمعون إن ابن الخطاب قد أقبل عليكم بوجه صابئ[1].

مـــن جملة ما سبق نستطيع أن نقول إن الصابئة المذكورة في القـــرآن هم الطائفة الدينية منهم وهؤلاء هم الذين اختلفوا العلماء في مذاهـــبهم إلـــى عشرة آراء، فالرأي الأول يقول إن الصابئة قوم بين النصارى والمجوس، والثاني أنهم بين اليهود والمجوس، والثالث أنهم بـــين الـــيهود والنصارى، والرابع أنهم صنف من النصارى ألين قولا مـــنهم، والخامس أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم، والسادس أنهم كالمجـــوس، والـــسابع أنهـــم فـــرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور، والـــثامن أنهـــم قـــوم يصلون إلى القبلة ويعبدون الملائكة ويقرءون الـــزبور، والتاســـع أنهـــم طائفة من أهل الكتاب، والعاشر أنهم كانوا يقولـــون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله[2].

ومهمـــا يكـــن مـــن أمر هذه الآراء: فالغالب على هذه الفرقة الدينية من الصابئة أنها من الأديان القديمة، نزع أصحابها إلى التوحيد والقـــول بالوحدانية، وهي بالتالي تختلف عن الطائفة الفلسفية الوثنية والتـــي عـــرفت باســـم صـــابئة حـــران فتاريخ الوثنية فيما يعود إلى الكلدانيـــين الذين تميزوا بتعبدهم للأجرام السماوية وبتفوقهم في فنون الطـــب والفلسفة والنجوم والكهانة والعرافة والسحر ومعرفة الطلاسم

---

(١) سيرة ابن هشام حـــ١ ص٣١١.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٧٤.

التي تسهل للإنسان الحصول على نعم آلهة الخير وترد عنهم آثام آلهة الشر [1] .

واستطاعت حران تلك المدينة الوثنية أن تحافظ على عقيدتها وما تدين به وأن تصمد أمام نفوذ الفرس والروم، والمسيحية وأن أثرت في الحرانيين بعض التأثير من خلال وجود بعض الجماعات النصرانية في مدينة حران وتأسيس أسقفية فيها إلا أنه كان تأثيراً ضعيفا لشدة مقاومة الحرانيون لهذه الجماعات، وإنما كان التأثير الأكبر من قبل الجاليات اليونانية التي أقامها الإغريق في الشرق والتى وضح في إطلاق أسماء يونانية على آلهة الحرانيين إلى جانب أسمائها الآرامية.

ولعل السبب في ذلك كما يقول جورج رنتز هو ارتباط الصابئة بروابط تجارية مع شمال الجزيرة والدول الواقعة في حوض البحر المتوسط حيث وجدت الآثار الخاصة بالصابئة، ويضيف رنتز آننا يمكن أن نرى التأثير اليوناني في القطع المعدنية المنحوتة ومظاهر أخرى من حياة الصابئة والتى امتدت روابطها الوثيقة أيضا إلى الحبشة على الجانب الآخر للبحر الأحمر[2].

وبالرغم من الجهود التي بذلت للقضاء على هذا الدين الوثني خاصة بعد أن أصبحت المسيحية دين الدولة، فقد ظل الحرانيون على عقيدتهم ساعدهم على ذلك حسن معاملة الأباطرة الأولون كهم وتسامحهم معهم، وبقي لهم في حران من الآثار الدالة على عقيدتهم.

---

(١) انظر المقنعة لابن خلدون ص٤٦٧.

(٢) الفكر الفلسفي والعلمي عند العرب ص٣٠، وما بعدها.

ويقول صاحب كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام: نجد في القرآن الكريم إشارة إلى الصابئين وقد ذكروا بين اليهود والنصارى في موضع من سورة البقرة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

وذكروا وسطا بين اليهود والنصارى في موضع من سورة المائدة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] وفي سورة الحج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[3].

وقد ربط العلماء الإسلاميون بين هؤلاء الصابئة المذكورين في القرآن الكريم وبين صابئة حران وصابئة العراق وجعلوهم طائفتين في الأصل وهما:

صابئة حنفاء: وهم في نظرهم أصحاب إبراهيم ممن كانوا بحران وممن كان على دعوته.

وصابئة مشركون: وهم من فسدوا من الصابئة فأشركوا واعتقدوا بالكواكب.

ولسنا نجد في الموارد الإسلامية شيئا مهما عن صابئة الجاهليين، وكل ما ذكروه عن الصابئة إنما هو متأخر أخذ عن الصابئة

---

(١) سورة البقرة الآية ٦٢.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٩.

(٣) سورة الحج الآية ١٧.

أو عمن اتصل بهم في الإسلام، ويدل على هذا المذكور عنهم على قلة بضاعتهم في الإخبار عنهم، وقلة من باع لهم الأخبار [1] .

والذي نخلص إليه أن العلماء تباينت أقوالهم وتعددت اتجاهاتهم حول حقيقة الصابئة وهي أقوال نراها لا تخرج عن حد التخمين وتميل إلى الظن – أو إن شئنا التعبير الصحيح نقول لم تستطع هذه الأقوال أن تضيف جديداً أو تزيد اللهم إلا محاولات واتجاهات واجتهادات لم تكشف النقاب ولم تحدد ملامح الصابئة قديما.

يقول صاحب كتاب الصابئة قديما وحديثا: إن الباحث لا يستطيع أن يصل بصورة قاطعة إلى مبدأ الدين الصابئي وإلى التطورات التي طرأت عليه في القرون المتوسطة. وهل هؤلاء الذين يدعون أنهم صابئة هم الصابئة الأقدمون الذين ورد ذكرهم في القرآن ونوه عنهم مؤرخوا القرون الوسطي؟

أو أنهم طائفة أخرى انتحلت هذا الاسم وادعته؟

إننا لا نستطيع أن نجزم بأن في كثير من تعاليمهم وطقوسهم الدينية الشئ الكثير من تعاليم الدين الصابئي القديم وإن كنا نجهل طرق توصلهم إلى تلك الطقوس[2].

وعلى هذا فإذا كان العلماء قد اختلفوا في حقيقة الصابئة وتبين لنا من اختلافهم أن الصابئة نوعان: صابئة حنفاء وصابئة مشركون والحديث عن الصابئة الحنفاء يصعب على الإنسان أن يكتب عنه بشيء من التفصيل والحيدة العلمية المطلوبة وذلك لندرة المراجع

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام د./ جواد علي حـ٦ ص٣١٠.

(٢) الصابئة قديما وحديثا.

عنهم وكشف النقاب عن حقيقتهم. وبالتالي سيكون حديثنا عن الصابئة المندائية أو الحرانية عند من يرى أنهما فرقة واحدة.

✦ جذور الصابئة في الحضارة العربية : -

إذا أردنا أن نتعرف على جذور الصابئة في الحضارة العربية فنجد لزاما علينا أن نتعرف على معتقدات العرب وديانتهم قبل الفتح العربي.

ونقول بادئ ذي بدء أن عقائد العرب في الجاهلية كانت عديدة ومتنوعة، فقبائل سبأ وثمود وحمير كانت تعبد الشمس، وكنانة كانت تعبد القمر، وبنو لحم وجرهم كانوا يسجدون للمشترى، وبنو طيئ عبد بعضهم سهيلا وبعضهم الثريا، وبعض قبائل خزاعة وقريش عبدوا الشمس، وقبيلة أسد عبدت عطارد[1].

والملاحظ هنا أن أديان العرب في الجاهلية كانت مرتبطة بالنجوم والكواكب وبنوا معتقدهم الديني على أساس تأثير هذه الأجرام السماوية على الكون بصفة عامة والإنسان على وجه الخصوص.

والصابئة وإن عبدوا الكواكب وعدوها مدبرة لهذا الكون، وعنها يصدر ما فيها من خير وشر، فقدا اختلفوا فيما بينهم في تأليههم لها، فبينما ذهب فريق إلى القول بأن الكواكب آلهة وأنها أبدية الوجود أزلية الأولية تجرى أحكامها لا لغاية، ذهب فريق آخر إلى القول بأن لهذه الكواكب والأفلاك إلها مبدعا أعطاها قدرة وإرادة ذاتية وفوضى إليها تدبير هذا العالم.

---

(١) انظر نخبة الدهر للدمشقي ص٤٦.

واعـتقد فـريق ثالـث أن الكواكب واجبة الوجود لذاتها غير محتاجة إلى مخصص[1].

بـيد أن اختلاف نظرة الصابئة إلى الكواكب كآلهة لم يقلل من قداستهم وتعظيمهم لها، والدليل على ذلك ما حكى عنهم من قرباناتهم إذ كانـوا يأتون إلى هيكل القمر لا بسين البياض ومعهم مجامر الفضة وأواني الفضة وشبك الصيد متوشحين بها ومعهم رجل آدم كبير الوجه وهـم يقولون كلاما معناه: يا بريد الله يا أخا الشمس المنيرة... جئناك نقـرب إلـيك مـا يشبهك ، ويرقصون ثم يوقفون الرجل مربوطا أمام الصنم ويرشقونه بالنبل حتى يموت ثم يلطخون الصنم بدمه[2].

وقـد تركت هذه المعتقدات بصمات قوية على عقائد العرب في الجاهلـية، ومن أهم مظاهر هذا التأثير بناء الهياكل للنجوم والكواكب وبخاصة الشمس وعبادتها والخضوع لها وذبح الذبائح وتقديم القرابين لهـا والحـج إليها وتسمية أنفسهم بأسماء الكواكب مضافة لها كلمة "عـبد" إظهار لعبوديتهم وتعظيهم لها، ومن هذه الأسماء: عبد شمس، وعبد الشعرى، وعبدالمشترى وهو معتقدات فاسدة نهى الإسلام عنها ودعـا الناس إلى عبادة الله الواحد والإقرار بالوحدانية والعبودية له، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [3].

---

(١) أديان العرب في الجاهلية د./ على الجارم ص١٨٧.

(٢) نحبة الدهر ص٤٤، وانظر الفكر الفلسفي والعلمي عند العرب ص٣٣.

(٣) سورة فصلت الآية ٣٧.

وقــوله عــز وجل : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّــيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ" . [1]

وقــوله تعالــى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [2] .

وقوله عز وجل مبينا أن لا معبود سواه، وأنه هو رب كوكبهم المــضئ المسمى بالشعرى الذي كانوا يعبدونه، وهو المعني الذي ورد في سورة النجم في قوله تعالى:﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَــى وَثَمُــودَ فَمَــا أَبْقَــى وَقَــوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾[3].

وأنهــى الله فــي هذه السورة الكريمة بقوله : ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْــبُدُوا﴾ ففي هذه الآية دعوة إلى عبادته سبحانه وتعالى وحده لأنــه هو الواحد الأحد الفرد الصمد، ونهى الناس عن عبادة الأوثان أمــثال "اللات والعزى ومناة لأنه لا يليق السجود والعبادة لها من دون الله.

والــصابئة وإن عبدوا الشمس فقد شاركهم في عبادتها بعض قــبائل العــرب فــي الجاهلــية مثل قبيلة سبأ الحميرية وأهل الحبشة والــشام، وقد أشار القرآن الكريم إلى قوم بلقيس وهم من قبائل سبأ في حديث الهدهد لسيدنا سليمان في قوله تعالى: ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ

---

(١) سورة فاطر الآية ١٣.

(٢) سورة السجدة الآية ١٥.

(٣) سورة النجم الآيات ٤٩ – ٥٢.

يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

فقبائل سبأ والتى كان سكانها باليمن أوتوا نعما كثيرة ورزقهم الله رزقا وفيراً، ومع ذلك أعرضوا عن عبادة الله وجحدوا نعمه وعبدوا الشمس من دونه فعاقبهم الله بما فعلوا إذ خرب ملكهم وشتت شملهم ومزقهم شر ممزق وأرسل عليهم السيل المدمر الذي خرب دورهم وأرضهم، وأبدلهم الله بساتينهم الخضراء المثمرة بأخرى قاحلة جرداء، ذلك جزاء كفرهم وآية لكل من يعصى ويتكبر ويعرض عن ذكره تعالى، وإلى هذا جاءت الإشارة في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾(٢).

وقد امتد دين الصابئة في تعظيم الكواكب وتأليههم لها إلى أمم وشعوب أخرى مثل ملوك العراق الأول الكلدانيون (٣).

✦ كتبهم المقدسة : -

---

(١) سور النمل الآيات ٢٢ – ٢٤.

(٢) سورة سبأ الآيات ١٥- ١٧.

(٣) يعرفهم الخوارزمي بقوله هم الذين يسمون بالصابئين والحرانيين وبقاياهم بحران والعراق.

يوجد لدى الصابئة عدد من الكتب المقدسة التي يستمدون منها تعاليمهم ويأخذون عنها عقائدهم وأفكارهم ومن بين هذه الكتب ما يلي:

١- الكنزة: أي الكتاب العظيم ويعتقدون بأنه صحف آدم عليه السلام، فيه موضوعات كثيرة عن نظام تكوين العالم وحساب الخليقة وأدعية وقصص، وتوجد في خزانة المتحف العراقي نسخة كاملة منه، طبع في كوبنهاجن سنة ١٨١٥ م، وطبع في لا يبزيع سنة ١٨٦٧م.

٢- دراشة إديهيا: أي تعاليم يحي. وفيه تعاليم وحاية النبي يحي عليه السلام.

٣- الفلستا: أي كتاب عقد الزواج ويتعلق بالاحتفالات والنكاح الشرعي والخطبة

٤- سدرة أدنشأ ماثا: يدور حول التعميد والدفن والحداد، وانتقال الروح من الجسد إلى الأرض ومن ثم إلى عالم الأنوار، وفي خزانة المتحف العراقي نسخة حديثة منه مكتوبة باللغة المندائية"[١] .

٥- كتاب الديونان : فيه قصص وسير بعض الروحانيين مع صور لهم.

٦- كتاب إسفر ملواشة: أي سفر البروج لمعرفة حوادث السنة المقبلة عن طريق علم الفلك والتنجيم.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المجلد الثاني ص٧٢٥.

٧-كتاب النياتي: أي الأناشيد والأذكار الدينية.

٨-كتاب قماها ذهيقل زيوا : ويتألف من ٢٠٠ سطر وهو عبارة عن حجاب يعتقدون بأن من يحمله لا يؤثر فيه سلاح أو نار.

٩-تفسير بغرة: يختص في علم تشرح جسم الإنسان وتركيبه والأطعمة المناسبة لكل طقس مما يجوز لأبناء الطائفة تناوله.

١٠- كتاب ترسر ألف شيالة: أي كتاب الاثنى عشر ألف سؤال.

١١- ديوان طقوس التطهير: وهو كتاب يبين طرق التعميد بأنواعه على شكل ديوان.

١٢- كتاب كداوا كدفيانا: أي كتاب العوذ [١] .

إلا أن المتفق عليه أن اللغة التي كتب بها كتاب الكنزة وغيره من الكتب المقدسة عندهم هي لغة سامية الأصل قريبة من السريانية، وتكفي نظرة في مصطلحاتهم للجزم بهذه الصلة الوثيقة بين لغتهم واللغة العربية حديثا فضلا عن القديمة المجهورة.

فمن كلماتهم ومصطلحاتهم ما يلي:

كلمة "آلي" بمعنى عالم.

كلمة "شماس" بمعنى شمس"

كلمة "هي" بمعنى حي".

كلمة "روحايا" بمعنى روح.

كلمة "موشيهة" بمعنى المسيح.

---

(١) نفس المصدر ص٧٢٦.

كلمة"بهية" بمعنى يحي.

كلمة "قد وفى" بمعنى القديم.

كلمة "سفلايى" بمعنى السفلى.

كلمة "ترميد" بمعنى التلميذ.

كلمة "أسفر" بمعنى سفر.

كلمة "ثنياني" بمعنى الثاني.

كلمة "تليثاني" بمعنى الثالث.

والأبجديـــة عندهم قريبة من أبجدية حساب الجمل على حسب ترتيبها في أبجد هوز حطى كلمن إلخ وهي " آ . با .كا . دا ، ها ، وا ، زا. ها ، طا. با . كا . لا . ما . نا . سا . اى . صا ، قا . را . شا . تا

ومن هذه الحروف ما يقارب مخارج الحروف التي تقابلها في اللغة الفارسية لأنهم تعودوا نطقها منذ زمن بعيد[1].

ويقـول رايـت صـاحب كـتاب المطالعة العربية إن حروفهم الأبجدية تشبه الحروف النبطية، وأن لغتهم تشبه لغة التلمود الذي كتب فـي بابـل، ويقولون هم إن لغتهم الأولى سريانية وأنهم كانوا بمصر علـى عهـد الفـراعنة الأول وتلقـوا دياناتهم الأولى في أحبارها ثم هجروها حين تحول أهلها عن الدين القديم.

والمحقـق مـن أمـرهم أنهـم يرجعون إلى أصل قديم، لأن اسـتقلالهم باللغـة الدينية والكتابة الأبجدية لم ينشأ في عصر حديث،

---

(١) انظر كتاب أبو الأنبياء للأستاذ عباس محمود العقاد ص١١٢ وما بعدها.

ولهـذا يفهـم الدارسون للأديان أن تحقيق لغتهم وكتابتهم يؤدي إلى جـلاء الغـوامض عن كثير من تاريخ الكلدان في الزمن الذي قام فيه الخليل بدعوته، ويؤكد هذا الفهم أن هؤلاء الصابئة يقيمون في الأقاليم الجنوبـية من العراق حيث أقام الخليل في رواية العهد القديم، ومنهم فئة تحج إلى حاران التي هاجر إليها، وينسب إليها الصابئة الحرانيون.

✦ عقائد الصابئة : ـ

إن الـباحث لا يستطيع أن يصل بصورة قطيعة إلى مبدأ الدين الـصابئى، وإلـى التطورات التي طرأت عليه في القرون المتوسطة، وذلـك لأن الـبحث التاريخي يدلنا على فرق متعددة ومذاهب متشعبة تـندمج كلها تحت اسم "الصابئة" ويجمعها جامع هذا المفهوم على ما بيـنها من اختلاف في العقيدة والفروع وعلى ما أصابها من تطور في الـزمان والمكـان وبـناء على هذا سيكون حديثنا عن عقائد الصابئة متضمنا أشهر تلك المذاهب التي أطلقت عليها هذه التسمية.

أولا: الصابئة وعقيدة الالوهية :-

يذكـر المـسعودي "الـصابئة" في مواضع مختلفة من كتابيه "مـروج الـذهب" والتنبيه والإشراف" ويطلق هذه التسمية على أقوام كثيرين ويشير في بعض الأحيان إلى ما بين من يسمون بالصابئة من اتفاق واختلاف في العقائد والشعائر.

ومؤسـس هذه العقيدة هو بوذاسب، الذي كان هنديا وقد خرج مـن أرض الهند إلى السند، وساح في مناطق متعددة من الهد وفارس حـيث تنبأ بأنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وخلقه، وهو أول من أظهـر مـذاهب الـصابئة، وقد كان أمر الناس بتزهد في هذا العالم والاشـتغال بمـا علا من العوالم، إذ كان من هنك بدء النفوس وإليها

يقــع الصدر من هذا العالم، وجدد عند الناس عبادة الأصنام والسجود لهــا لــشبه ذكــرها، وقــرب لعقــولهم عــبادتها بضروب من الحيل والخداع[1].

ويقــول بوذاســب: إن معالى الشرف الكامل والصلاح الشامل ومعــدن الحــياة في هذا السقف المرفوع، وأن الكواكب هي المدبرات والــواردات والــصادرات، وهــي التــي بمرورها في أفلاكها وقطعها ومــسافاتها واتــصالها بنقطة وانفصالها عن نقطة، يتم ما يكون في العالم من آثار، من امتداد الأعمار وقصرها، وترك البسائط ، وانبساط المركبات وتتميم الصور وظهور المياه وغيضها، وفي النجوم السيارة وفــي أفلاكها التدبير الأكبر[2] والصابئة اتخذوا الروحانيين أو الملائكة شــفعاء لهم ووسائط إليهم عند الله، وزعموا أن الملائكة هي مدبرات الكواكب السيارة في أفلاكها وهي هياكلها، ولكل روحاني عند الصابئة هــيكل، ولكل هيكل فكل، ونسبة الروحاني إلى الهيكل نسبة الروح إلى الجــسد، ولمــا كان من الواجب للمتوسط أن يرى حتى يتوجهوا إليه ويستعيذوا منه فقد فزعوا إلى الهياكل التي هي السيارة، كانوا يتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيين ليقربوهم إلى الصانع المقدس –الله– لاعتقادهم أن الهياكل أبداتهم وأن من تقرب إلى شخص حي فقد تقرب إلى روحه[3].

وعقــيدتهم في الله تتمثل في أن الله تعالى لا تدركه الأبصار لا في هذه الحياة الدنيا ولا في الآخرة . وأنهم ينزهون الله غاية التنزيه،

---

(١) مروج الذهب حـــ٢، ص٢٢٦.

(٢) المرجع السابق حـــ١، ص٢٤٦.

(٣) نظر كتاب نخبة الدهر للدمشقي ص٤٧.

ويقولـــون أن الكواكب ملائكة نورانية، ولم تكن لهم هياكل ولا اصنام عـــند ظهـــور الإسلام ولابد عندهم من مخلوق متوسط بين الروحانية والماديـــة يهدى الناس إلى الحق لأن الروحانيات مخلوقة من كلام الله جـــل وعلا، دعاها بأسمائها فوجدت، ولا يصل كلام الله إلى الناس إلا بوســـائط مخلوقة بين النور والتراب ترفعه الرياضة والهداية وتؤثره نعمة الله.

ويذكر ابن النديم أن الصابئة يدعون إلى الله وإلى الحنيفية وأن مـــن مـــشاهيرهم آرانـــي وأغاثا ذيمون وهرميس وربما صولون جد أفلاطون[1]

والـــروحانيات عـــند الصابئة ليست مركبة من مادة وصورة، وأنمـــا هي صورة مجردة عن المواد يحتاج إليها لأنها هي التي تخرج الجـــسمانيات إلـــى الفعل، مجردة عن المواد يحتاج إليها لأنا هي التي تخـــرج الجسمانيات إلى الفعل، وهي نورانية علوية، وحجتهم في ذلك أنها إذا كانت صوراً مجردة كانت موجودات بالفعل لا بالقوة كاملة غير ناقصة، والمتوسط يجب أن يكون كاملاً حتى يكمل غيره، أي يجب أن يكـــون بالفعل ولا يكون غير ذات ما يحتاج أي الخروج، ومن ثم فهي صـــورة مجردة، والصورة في رأيهم ذات طبيعة وجودية، وهي منبع الخير والصلاح والحكمة والعلم، وهنا يبدو واضحا الأثر الأرسطي في رأي الصابئة وتأثرهم بفكرتي المادة والصورة والقوة والفعل.

وعـــالم الـــروحانيات عـــند الـــصابئة هو عالم الكمال والنور والفـــضيلة[1] ونظرا لتفوق هذا العالم على عالم الجسمانيات في العلم

---

(١) الفهرست لابن النديم ص٤٥٦.

والعمل إذ أن علوم الروحانيات كلية فعلية فطرية وعملها هي العبادة ومداومة الطاعة والتسبيح بالليل والنهار، بينما علم الجسمانيات ظلماني سفلي كثيف وعلومه جزئية انفعالية كسببة فإن للروحانيات قوة تصريف الأجسام وتقليب الأجرام لا يشغلها شيء سوى التوجه إلى الله وطلب رضاه، وتدبير نظام العالم وقوام الكل وفعلها هو الإصلاح دائما لا يشوبها شائبة الشر والفساد.

وبناء على ما تقدم فالروحانيون عند الصابئة معنيون بالهياكل العلوية كزحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر، وهذه السيارات كالأبدان والأشخاص بالنسبة إليها، فهم الأسباب الأولى والكل مسبباتها"[٢].وقد امتد تعظيم الصابئة للروحانيات إلى حد أن عدوها مبادئ الموجودات، وعالمها عالم الكمال، معاد الأرواح.

والأرواح في نظرهم كانت تعيش حياة سعيدة في عالمها العلوى قبل أن تنزل وتحل في الأبدان، وهذه هي نشأتها الأولى، بيد أن اتصالها بالأجسام لطخها ودنسها، ولكنها استطاعت أن تتطهر عنها بالأخلاق الكريمة والأعمال الحسنة كالرياضة الروحية وبعد النفس عن الشهوات وتصعد إلى عالمها الأول وهذه هي نشأتها الأخرى.

وقولهم هذا يذكرنا بنظرية المثل الأفلاطونية ونزوع النفس إلى الخلاص من أسر البدن ومحاولتها عن طريق التطهر العودة إلى مصدرها الأول.

---

(١) الملل والنحل للشهرساني حـ٢، ص١٩.

(٢) انظر الملل والنحل حـ٢، ص٢٩.

تلـــك هي طريقة الصابئة في التوسل إلى حضرة القدس، وفي التقرب إلى رب الأرباب ومسبب الكل، فالتقرب إلى الروحانيات هو في رأيهم أفضل طريق للتقرب إلى مسبب الأسباب وواهب الكل.

وإمعانـــا فـــي تنزيه الله تعالى وحرصا من الصابئة على عدم التشبيه، فقد نفوا عنه الصفات وجعلوه سلوباً خالصة فيقال أنه تعالى ليس بمحدث ولا عاجز ولا جاهل ولا موات[1].

وأهـــم ما في مذهب الصابئة كما يقول د./ أبوريدة هو التوحيد المبني على التنزيه لذات الله والعناصر الفلسفية المأخوذة أغلبها عن أرسطو.

ثانيا: عقيدتهم في النبوة :-

تعتـــرف الـــصابئة بنبوة شيث بن آدم عليه السلام وهو أوريا الأول، وتنـــسب ديـــنها إلـــيه، وشيث كما يقول الخونساري هو أستاذ هرمس الهرامسة المسمى عند العرب بإدريس عليه السلام، وهو أول من أخذ عنه الشريعة والحكمة[2].

ويـــتحدث المسعودي عن أهم عقائد الصابئة فيذكر أن الصابئة تزعم أن إدريس النبي هو هرمس، ومعنى هرمس عطارد، وهذا النبي هو الذي أخبر الله عز وجل في كتابه أنه رفعه مكانا عليا[3].

ويـــتحدث عن الهرمين الواقعين في الجانب الغربي من فسطاط مصر فيقول وأحد هذين الهرمين قبر أغاثديمون والآخر قبر هرمس،

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٧٤.

(٢) روضات الجنات – الخونساري حـــ٢، ١٦٣.

(٣) مروج الذهب للمسعودي حـــ١ ص٥٠.

وكان سكان مصر وهم الأقباط يعتقدون بنبوتهما قبل ظهور النصرانية فبهم، على ما يوجبه رأي الصابئين في النبوات لا على طريق الوحي، بل هي عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذبت من أدناس هذا العالم فاتحدت بهم مواد علوية فأخبروا عن الكائنات قبل كونها وعن سرائر العالم وغير ذلك مما يطول وصفه ولا تحتمل كثير من النفوس شرحه[1].

ولقد تعرض اليعقوبي لموضوع الصابئة في مواضع مختلفة من كتابه فذكر أن نبيهم هو هرمس الذي هو إدريس كما يزعمون، كما ذكر بعض أنبيائهم مثل أورواني وغابيديمون، كما بين أن بعض ملوك اليونان والروم كانوا صابئة[2].

أما البغدادي فلا يذكر عن هؤلاء سوى إيمانهم ببعض الأنبياء كهرمس وغيرهم وبعض الفلاسفة.

ثالثا: عقيدتهم في البعث:

ومن عقائد الصابئة أيضا قولهم ببعث الأرواح لا الأجسام، ومع ذلك فهم لا ينكرون بعث الأجسام، وفي رأيهم الخير من الله والشر من النفوس، وزعموا أن الأرواح الخيرة تصعد إلى النور والضياء إلى الكواكب الثابتة، أما الأرواح الشريرة فتنزل إلى الظلمة إلى أسفل الأرضين، وطهارة النفس العاصية بعد تعذيبها تكون ثلاثة آلاف سنة،

---

(١) يراجع كتاب التنبيه للمسعودي ص١٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي حـ١ ص١١٩.

ومن الصابئة من يقول أن الثواب والعقاب في التناسخ وأن هذا العالم لا يفنى[1].

رابعا: طقوسهم وعبادتهم :-

للصابئة طقوس وشعائر ولهم في عبادتهم مقولات متعددة.

فالصلاة عند الصابئة تشتمل على مراسم وطقوس أضيفت عليها على مر الأزمان وهي تبدأ بالطهارة والاغتسال وتنتهي بتأدية الصلاة فالصلاة عندهم لا تصح بدون طهارة، والطهارة المقصودة هي الطهارة من الجنابة بالغسل فضلا عن الوضوء.

ومن فرائض الوضوء عند الصابئة أن يجلس المتوضئ على ضفة النهر ويتلو الرخصة وهي "النية" ثم يغسل يديه حتى المرفقين ويعقبها بغسل وجهه ثم عورته ثم ركبته وكل ذلك ثلاثة، ثم يمسح جبينه وأذنيه وأنفه ويتلو في كل ذلك دعاء معناه: السلام عليك أيها الماء الجاري تحت عرش الرب الذي يحي بك كل من في الأرض [2].

وفرض الصلاة فيما يرى الصابئة كان أولا على آدم أبي البشر بسبعة فروض يصلى فيها خمسة في الأوقات التي يؤدي فيها المسلمون صلاتهم واثنتان في غير هذه الأوقات.

بيد أن شريعة آدم قد استمرت إلى أن جاء يحي عليه السلام فنسخها بشريعته وجعل الصلاة ثلاثة فروض في ثلاثة أوقات وهي قبيل طلوع الشمس وعند زوالها وقبيل الغروب ، تبدأ الصلاة بالآذان وهو عبارة عن أذكار تتلى بين الحاضرين بدون رفع صوت أو وقوف

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٧٥.

(٢) انظر كتاب الصابئة قديما وحديثا ص٤١.

علـــى مكان مرتفع ويتوجه المصلى عندهم إلى جهة الجدي رافعا يديه وقلـــيلا من رأسه مع انحناء قليل لا بسين رداء خاصا يسمى الرستة، وهي ما تشد على الوسط ثم يتلو سبع قراءات يمجد فيها الرب ويدعوه بأســمائه الحــسنى ويــستمد منه العفو والشفاء من الأمراض ورفع الكوارث عن قومه وطلب الاتصال بعالم الأنوار.

يقــول ابن الجوزي: والصلاة عندهم عبارة عن ثلاث صلوات فـــي كـــل يوم ولكن بركعات وسجدات وتفصيلها كما يلي: أولا يصلى الصابئة ثمانية ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة، ووقتها عند ظهور شـــفق الشمس الشروقي، ووقت الزوال يصلى الصابئة خمس ركعات والأمر كذلك في صلاتهم الثالثة والأخيرة وهي عند غروب الشمس[1].

وما نراه في الصابئة فيما يتعلق بالصلاة عندهم فيه دليل على غلـــوهم وخـــراب عقيدتهم ، ولهذا جاء النهي من النبي عليه الصلاة والسلام عن الصلاة عند شروق الشمس وعند غروبها.

أمـــا الصيام عندهم فيرتبط بعدد ما تقطعه الشمس في كل برج مـــن بـــروجها، وهو ثلاثين يوما في السنة يمسكون فيها عن الطعام والشراب من شفق شروق الشمس إلى شفق غروبها، ويفطرون على النـــباتات وعلى غير اللحوم والألبان وصيامهم ليس متصلا وإنما هو موزع على شهور السنة، فيصومون أولا أربعة عشر يوما متتالية في فـــصل الشتاء موافقة لأعداد الكواكب السبعة وأفلاكها، وسبعة أيام في الـــربيع مـــوافقة لأعداد الكواكب وحدها، وفي نهاية الصيف يصومون تسعة أيام موافقة أيضا للأفلاك السبعة مع فلكي الثوابت والمحيط، وفي

---

(١) تلبيس إبليس ص٧٥.

نهاية صيامهم يتصدقوا ويقدموا الذبائح في معابدهم وهياكلهم للسدنة والفقراء[1].

ومن شعائرهم أيضا النهي عن الاختتان وعن السكر في الشراب ولا يجمعون بين امرأتين، وأمروا بالتزويج بولي وشهود، ولا يجوزون الطلاق إلا بحكم من القاضي ، ويمنعون من توريث الفاسق من العدل وهم يغتسلون من الجنابة ومن مس الميت، ومن طقوسهم أيضا أنهم يحرمون أكل الحمام ومن الطير ماله مخلب ، كما حرموا أكل الخنزير والكلب والإبل.

وللصابئة طقوس أخرى غير ما ذكرنا من بينها طقوسهم الخاصة بالهياكل، فهم يعتقدون في هياكل متعددة من بينها هيكل العلة الأولى، وهيكل العقل، وهيكل السياسة، وهيكل الصورة، وهيكل زحل، وهذه الهياكل مستديرة الشكل، هذا فضلا عن هياكل أخرى كتلك الهياكل الخاصة بالشمس والقمر والزهرة وعطارد والمشتري [2] .

أما أعظم الهياكل فهو هيكل العلة الأولى الذي لهم فيه تسبيح وتقديس مخلوط بشرك، صنعوه على هيئة نصف منطبقة على الأرض وفي أعلاها ثمان وأربعون كوه، والأمر كذلك في مشرقه ومغربه، وتشرق الشمس كل يوم من كوة دون البواقي وتغيب عن نظيرها وترسل نورها من كوه من أعلى الهيكل.

وزعم الصابئة أن البيت الحرام هيكل زحل، وهم يطلون بقاءه أبد الدهر بأن إدريس نص عليه وأوصى بالحج إليه، ومن طقوس

---

(١) أديان العرب في الجاهلية، د./ على الجارم ص١٨٥.

(٢) راجع نخبة الدهر ص٤٢ وما بعدها.

الصابئة الخاصة بهيكل زحل أنهم كانوا يأتونه يوم السبت، وقد لبسوا السواد آخذين في أيديهم أغصان الزيتون المورقة مقلدين بقلائد كالسبح المنظومة من الزيتون ثم يتقربون إلى الصنم على اسم روحانية زحل بهيكل زحل، وهذه الطقوس وغيرها أوردها الشهرستاني وابن النديم فليرجع إليها من طلب المزيد.

عقائد الحرانية :-

سبق أن ذكرنا القول بأنه شاع بين الباحثين الجمع بين الصابئة والحرانية إلا أنه يوجد بينهما خلاف ظاهر، وقد عرفنا فيما سبق الصابئة وعقائدهم وجاء الدور هنا لنعطى فكرة موجزة عن الحرانية ثم نعقبه بالحديث عن العقائد عندهم.

ويعطينا المسعودي معلومات دقيقة عن صابئة حران فيقول للصابئة من الحرانيين هياكل على أسماء الجواهر العقلية والكواكب، ومن هذه الهياكل هيكل العلة الأولى، وهيكل العقل، وهيكل السلسلة، وهيكل الصورة، وهيكل النفس، وهذه الهياكل مدورات، أما هيكل زحل فإنه مسدس وهيكل المشترى مثلث، وهيكل المريخ مربع مستطيل، وهيكل القمر مثمن [1] وقد أورد ابن النديم معلومات واسعة عن هؤلاء وتحدث عنهم وعن طقوسهم وعبادتهم، ويذكر أن هؤلاء يقومون بالاغتسال، ويغسلون كل ما يأكلون، ويعظمون الكواكب ولهم تماثيل وأصنام، وهم عامة الصابئة المعروفين بالحرانيين[2].

---

(١) مروج الذهب حـ٢، ص٢٣٦.

(٢) الفهرست لابن النديم ص٤٦٨.

الحرانيون أطلقوا على أنفسهم اسم صابئة وذلك تقية منهم وخشية من أن يصيبهم مكروه من الخليفة المأمون، وقد أطلق عليهم الشهرستاني اسم الحنفاء الوثنية، وكذلك فعل البيروني، فالحرانية في رأيهما ليسوا من الصابئة بل هم الحنفاء الذين ظهروا في عهد الوثنية، وحجتهما في ذلك أن اسم الحرانية مشتق من هاران بن ترخ أخ إبراهيم عليه السلام وأن النبي إبراهيم عليه السلام قد ظهر فيهم، وهؤلاء سكنوا شمال العراق وقبلتهم جهة القطب الجنوبي.

على إننا نرى أن ما ذكره الإمام الشهرستاني والبيروني لا يقوى أمام الحجج القوية والأدلة القاطعة التي تؤكد أن الحرانيين لم يكونوا على مذهب الحنيفية، والدليل على ذلك ما نراه عند القوم من مبادئ وعقائد تتنافى مع الدين الحنيف وهذا ما سنؤكده عند حديثنا تفصيلا عن عقائدهم.

أولا: عقيدة الألوهية عند الحرانية:-

الله في نظر الحرانية واحد وكثير وهو تعالى يسمى بالصانع المعبود، فهو واحد في الذات والأصل والأزل، إنه الأول وهو كثير لأنه يتكسر بالأشخاص في رأي العين وهي المدبرات السبعة، والأشخاص الأرضية الخيرة العالية الفاضلة، وهو تعالى كما يقول الشهرستاني: يظهر بها ويتشخص بأشخاصها ولا تبطل وحدته في ذاته" (١) .

وتتفق الحرانية مع فرقة السامرة من اليهودية في القول بأن لله سنتان -أي طريقتان في خلقه وأمره- وأن اختلفا في تحديد هذا المفهوم.

---

(١) الملل والنحل الشهرستاني حـ٢، ص٥٤.

فـــالله ســـبحانه وتعالـــى كما تقول الحرانية لما فرغ من خلق السموات والأرض وبلغ الخلق إلى نهايته ابتدأ الأمر، ومن ابتداء الأمر يكـــون الاستواء على العرش والفراغ من الخلق، وليس ذلك أمراً كان ومـــضى، بـــل هـــو فـــي المستقبل إذا عددنا الأيام بالوقوف عند رأي السامرة.

يقـــول البيروني: أما صابئة حران فهي الطائفة الفلسفية ،وقد ذاع صيتها وعظم شأنها في الحضارة العربية وذلك لمكانتها في تاريخ العلوم والآداب.

والحرانيون وثنيون اتخذوا من كلمة صابئة الواردة في القرآن ستاراً أخفوا وراءها عقيدتهم الفاسدة(١).

وتـــاريخ الوثنية فيها يعود إلى الكلدانيين الذين تميزوا بتعبدهم للأجرام السماوية وبتفوقهم في فنون الطب والفلسفة والنجوم والكهانة والعـــرافة والسحر ومعرفة الطلاسم التي تسهل للإنسان الحصول على نعم آلهة الخير وترد عنه آثام آلهة الشر(٢).

وعـــبادة الحرانية للأوثان والتى سموها آلهة في مقابل الآلهة الـــسماوية وعبادتهم لها من دون الله تعالى تذكرنا بما فعله السامري مـــع الـــيهود إذ ألقي بما كان معه من حليهم في النار وصاغ لهم منه عجلا جسداً بلا روح له خوار، وقال لهم هذا العجل الهكم وإله موسى فعكفـــوا علـــيه يعبدونه وقد رتب الحرانيون الكهنة في هياكلها مراتب على ترتيب الأفلاك السبعة، فأعلى كهانهم يسمى رأس كمرين.

---

(١) الآثار الباقية – البيروني ص٢٠٤.

(٢) الصابئة وأثرها في الفكر العربي د./ جبور عبدالنور ص٥٩،

ويقـول المسعودي إن أهم الهياكل الباقية إلى سنة ٣٣٢ هـ بيت لهم بمدينة حران في باب الرقة يعرف بمغليتيا وهو هيكل آزر أبي إبراهيم الخليل عليه السلام عندهم، وللقوم في أزر وابنه إبراهيم كلام كثير.

ويستمر المسعودي في حديثه عنهم فيذكر أن ابن عيشون الحراني القاضي المتوفي بعد الثلاثمائة للهجرة ذكر مذاهب القوم المتخذة لأنواع صور الأصنام التي جعلت مثالا للأجسام السماوية وما ارتفع من ذلك من الأشخاص العلوية، وأسرار هذه الأصنام ، وكيفية إيرادهم لأطفالهم إلى هذه الأصنام، وما يحدث ذلك في ألوان صبيانهم من الاستحالة إلى الصفرة وغيرها لما يسمعون من ظهور أنواع الأصوات وفنون اللغات، وذلك بأن يقف بعض السدنة وراء الجدران ويتكلمون في تلك الأصنام والتماثيل المجوفة فيظهر كلامهم في تلك التماثيل التي تبدو وكأنها تتكلم، الأمر الذي يؤدي إلى اصطياد عقول الناس.

ومما جاء في تلك العقيدة:

إن نفيس العجائب بيت لهم في سرادب
تعبد فيه الكواكب أصنامهم خلف غائب[1]

والله في رأي الحرانية تام العلم والحكمة وهو كذلك لأنه قديم وعالم بجميع الأشياء، يفعل دائما ما هو جميل ويفيض على الأجسام من الصور ما هو مناسب لها، الله علة موجبة لوجود جوهر مجرد عن المواد وهو العقل، والله لا يصدر عنه إلا واحدا، لذا يفيض عنه تعالى

---

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي حـ٢، ص٣٩٢.

العقـل كفيض النور عن القرص، وهذا الفيض ليس بالقصد والاختيار بـل بالإيجـاب، أما ما عداه من موجودات فتصدر عنه تعالى بواسطة مستندا إلى الأصل.

وهذه النظرية كما ترى تذكرنا بنظرية الفيض الأفلوطينية، ذلك الفيض الصادر عن الواحد الأول الذي ليس له بداية وغير مادي، وهو واحد قادر على أن يقف في الصدارة بمفرده وعنه يفيض العقل.

والحرانية نظراً لحاجتهم إلى متوسط يتوسل به وشفيع يتشفع إليه فقد وجدوا أن القول بالروحانيات على مقولة الصابئة لا تحقق لهم ما يريدون خاصة وأن هياكلها -أي الروحانيات- لا ترى في كل وقت لأن لهـا طلـوعا وغيابا، ومن هنا كان اختيارهم للصور والأشخاص الموجودة دائما أمام أعينهم يتوسلوا بها إلى الهياكل فيتقربوا بها إلى الـروحانيات، ويتقربوا بالروحانيات إلى الله عز وجل، وهذا يوضح لنا الـسبب فـي اتخـاذهم الأصـنام أشخاصا على مثال الهياكل السبعة. والـروحانيات عـند الحرانية ليست نورانية علوية، وليس لها درجة رفـيعة ومقام محمود، كما يقول الصابئة، وحجتهم في ذلك أن الروح هـو الحاصـل بأمر الله تعالى، فمن أطاع الله وصدق برسالات رسله كانت الروحانية فيه أكثر والروح عليه أغلب، وبالعكس من أنكر أوامر الله ولـم يعمل بما أمره تعالى به، وكذب شرائعه كانت الشيطانية عليه أغلـب، ومن ثم فمن قبل أمر الله وأطاعه كان له الاعتبار في الشرف والعقل والفضيلة، ومن لم يقبل ما أمر به، فلا روح ولا حياة ولا عقل ولا فـضيلة ولاشرف عنده[1] وقد تأثرت الحرانية ببعض أراء أرسطو الميتافيـزيقية كقـوله بـأن وقد تأثرت الحرانية ببعض أراء أرسطو

---

(١) انظر نخبة الدهر للدمشقي حـ٢، ص١٨.

الميتافيـزيقية كقوله بأن الله واحد لا تلحقه صفة ولا يخضع للقياس ، ولا يجـوز عليه خير موجب، وذهبت الحرانية إلى القول بأن الله منزه عـن القبائح ويصفونه بالسلب قائلين إنه لا يرى ولا يظلم، ولا يجوز ولا يحـد لأنـه ليس له في رأيهم صفة بالحقيقة، وهو لا يعني بالعالم على مقولة أرسطو، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه[1].

من جملة ما سبق نستطيع أن نقول إن مذهب الحرانية مذهب توفيقـي اسـتمد أصـوله من عدة مصادر كالأفلاطونية والأفلوطينية والأرسـطية ممـزوج بعناصر من السحر والتنجيم، وإلى هذا المعنى يـشير د./ أبـو العـلا عفيفـي إلـى القول بأن فن مزج نظم التفكير والاعتقادات كان معروفا منذ زمن طويلا قبل أن يقول به العرب، وأن التوفـيق بـين المعـتقدات يعتبر من الملامح البارزة للعصر الهليني المتأخر.

ثانيا: الحرانية وعقيدتهم في النبوة:-

تعتـرف الحـرانية بالنـبوة ولكنه اعتراف قاصر وذلك لأنهم ينسبون عقيدتهم في النبوة إلى أربعة أنبياء وهم، عاذيمون، وهرمس، وأعـيانا، و وآذى الذين يزعمون أنه حرم عليهم أكل البصل والكرات، ومنهم من ينتسب إلى سلون جد أفلاطون لأمه ويزعم أنه كان نبيا[2].

والأنبـياء عـند الحـرانية متوسطون في تقرير سنة الأمر بينما الملائكـة متوسطون في تقرير سنة الخلق. ونظراً لأن الأمر في رأيهم

---

(١) نـشأة الفكـر الفلسفي في الإسلام د./ على سامي النشار حـ١ ص١٢٤، وما بعدها.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني حـ٢، ص٥٧.

أشرف من الخلق، فالأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة.

والشرف والكمال في التركيب لا في البساطة، والكمال في إثبات الرجال لا في يعيين الهياكل والظلال، والسجود لآدم عليه السلام في رأيهم أفضل من التسبيح والتحميد والتقديس[1].

وقد أورد البغدادي معلومات عن الحرانية وذكر فيما ذكره عنهم إيمانهم ببعض الأنبياء كهرمس وغيره وبعض الفلاسفة [2].

وللحرانية رأي في النبوة خلاصته أن النبي يجب أن يكون متحليا بحميد الصفات، وأن يكون مجاب الدعوة، يرفع الضر عن الإنسان والحيوان والنبات ومصلحا لأحوال البلاد، يقول المقدسي مبينا هذا المعني: النبي هو البرئ عن المذمومات في النفس والآفات في الجسم والكامل في كل محمود، وأنه لا يقصر عن الإلمام بصواب كل مسألة ويخبر بما في الأوهام، ويجاب في دعوته بإنزال الغيث ودفع الآفات عن النبات والحيوان، ويكون مذهبه ما يصلح به العالم ويكثر علمهم[3].

ثالثا: عقيدتهم في البعث :-

والحرانية ينكرون البعث ويقولون بالتناسخ والحلول، أما التناسخ فهو أن تتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية له، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الدور الأول.

---

(١) المرجع السابق حـ٢، ص٣٠.

(٢) الفرق بين الفرق للإمام البغدادي ص٢٩٥.

(٣) البدء والتاريخ حـ٤، ص٢٣، وما بعدها.

وبـــناء على ذلك فلا ثواب ولا عقاب في الآخرة وإنما هو في الحـــياة الدنيا، ووفقا لرأيهم هذا فما نحن فيه الآن من يسر أو عسر، فرح أو حزن فإنما هو نتيجة لما سلف لنا في الأدوار الماضية.

والحلـــول هـــو التشخيص الذي ربما يكون بحلول ذاته وربما يكون بحلول جزء من ذاته على قدر استعداد مزاج الإنسان، وحكي عن بعـــض أوائلهم أنه قال: يعذب الله تسعة آلاف دور ثم يصير إلى رحمة الله، وهـــم يـــشبهون الهـــياكل السبعة بالأعضاء السبعة وهي اللسان والعـــين والأنـــف واليد والرجل وجميع الجوارح، وعقيدتهم كما نرى واضـــحة النقـــصان عظـــيمة البطلان. والقيامة الموعودة على لسان الأنبـــياء عليهم السلام كما يقول الحرانية تحدث كل ست وثلاثين ألف سنة وأربعمائة وخمس وعشرين سنة ففى كل مدة كتلك تحدث في كل إقلـــيم مـــن الأقاليم المسكونة زوجين من كل نوع من أجناس الحيوان ذكرا أو أنثى من الإنسان وغيره من المخلوقات، ويبقى ذلك النوع تلك المدة، ثم انقضى الدور بتمامه انقطعت الأنواع، نسلها وتوالدها فيبتدئ دور آخـــر، ويحـــدث قرن آخر من الكائنات الحية – الإنسان والنبات والحيوان – وهكذا أبد الدهر[1].

والمعاد في رأي الحرانية إنما يكون في عالم قبل عالم الآخرة، والعقوبات والمجازات لا تكون إلا في الحياة الدنيا، والمعاد بالأشخاص والأجـــساد لا بالـــنفوس والأرواح، ويفرقون بين المبدأ والمعاد، ففي المـــبدأ تكـــون أحكـــام الأجساد غالبة وأحوالها ظاهرة للحس، وتكون

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني حـــ٢، ص٥٥.

الأرواح مستوردة بالأجساد، وفي المعاد تكون الأجساد مغمورة بالأرواح وتكون أحكام النفوس غالبة وأحوالها ظاهرة للعقل[1].

رابعا: طقوسهم وعبادتهم:-

إذا أردنا أن نتعرف على أنواع الطقوس والعبادة عند الحرانية فنراهم يقتربون في عبادتهم من الصابئة.

ففيما يتعلق بالصلاة عندهم نراهم يقولون بالصلاة المفروضة والنافلة أما المفروضة فهي أن يصلي الإنسان على شريعتهم كل يوم ثلاث صلوات الأولى قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل تنقضي مع طلوع الشمس وهي ثمان ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة، والصلاة والثانية تنقضي مع زوال الشمس وهي خمس ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة، والصلاة الثالثة مثل الثانية تنقضي عند غروب الشمس.

ولهم أيضا صلوات نافلة وهي ثلاث في كل يوم، الأولى في الساعة الثانية من النهار، والثانية في الساعة التاسعة من النهار، والثالثة في الساعة الثالثة من الليل.

أما صيامهم فهو أيضا ثلاثون يوما، أما نفل صيامهم فهو ثلاث وأربعون يوما، ولهم قربان، يتقربون به، أما الذبح فللكواكب، والذبيحة عندهم هي كل ما له رئة ودم ويجب فيه قطع الأوداج والحلقوم، ويجب التصدق مع كل ذبيحة لا انفصال بينهما، وأكثر ذبائحهم الديوك ولا يؤكل القربان، وإنما تحرق ولا يدخل الهياكل ذلك اليوم.

---

(١) للمزيد أنظر: كتاب الصابئة قديما وحديثا ص٣٨، والملل والنحل ح٢، ص٣١.

وأمـــا أعـــيادهم فهي، عيد فطر السبعة، وفطر الشهر – وعيد الحـــبل- وعيد الميلاد وأما الزواج عندهم فإنه يكون بشهود، والطلاق لا يكـــون إلا بحجـــة بيـــنه عـــن فاحـــشة ظاهرة، وعدم الجمع بين امرأتين[1].

وبهـــذا نكـــون قد انتهينا من الحديث عن الحرانية وعقائدهم وشـــعائرهم الدينية وجاء الدور هنا لنكمل بحثنا بالحديث عن الصابئة المندائية لنتعرف على عقائدهم وعبادتهم فنول وبالله التوفيق.

عقائد الصابئة المندائية :-

الصابئة المندائية هي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم والتـــى تعتبـــر يحـــي علـــيه السلام نبيا لها، يقدس أصحابها الكواكب والـــنجوم ويعظمـــونها ويعتبر الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي وكذلك التعميد في المياه الجارية من أهم معالم هذه الديانة[2].

وللصابئة المندائية أفكار وعقائد متعددة تتعلق بالآلهة والعبادة وطـــبقات رجال الدين عندهم، وكذلك لهم أفكار تتعلق بالأعياد والتعميد والتـــشريع والطهارة والتناسخ والزواج والطلاق، وسوف نعطى فكرة موجزة عن كل واحدة منها وذلك على النحو التالي.

١ـ حقيقة الإله عندهم :

يعـــتقد الصابئة المندائية بالقول بوجود آله خالق واحد أزلي لا تـــناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق، ولكنهم يجعلون بعد هذا الإله

---

(١) راجع الفهرست لابن النديم حـــ٤٥٧ وما بعدها.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ص٧٢٤.

٣٦٠ شخصا خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، وهؤلاء الأشخاص ليسو بآلهة ولا ملائكة، يعملون كل شئ من رعد وبرق ومطر وشمس وليل ونهار وهـؤلاء يعـرفون الغيب ولكل منهم مملكته في عالم الأنوار وهؤلاء الأشـخاص ليـسوا مخلوقـين كبقية الكائنات الحية، ولكن الله ناداهم بأسـمائهم فخلقـوا وتزوجوا بنساء من صنفهم، ويتناسلون بأن يلفظ أحـدهم كلمة فتحمل امرأته فوراً وتلد واحدا منهم، وهم يعتقدون كذلك بأن الكواكب مسكن للملائكة ولذلك يعظمونها ويقدسونها[1].

ممـا سـبق يتـضح لنا أن الصابئة المندائية وأن اعتقدت في القـول بوجـود إله خالق إلا أنهم غالوا في حق ذلك الإله وذلك لأنهم جعلوا له شركاء في الخلق والإيجاد -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - كمـا أن نظرتهم إلى هؤلاء الآلهة لم يقلل من قداستهم وتعظيمهم لها، والدليل على ذلك زعمهم بالآلهة بأنهم يعملون كل شئ من الأفعال التي لا يقدر على مثلها إلا الله تعالى.

وهـذا الفـريق هـم القائلون بالأكوار والأدوار، وزعموا أن المعـبود واحد وكثير، أما الواحد والوحدانية ففي الذات والأزل، وأما الكثرة فلأنه يكثر بالأشخاص في رأي العين.

وقـد تركت هذه المعتقدات بصمات قوية على حضارتهم ومن أهـم مظاهـر هـذا التأثيـر بناء الهياكل للنجوم والكواكب وعبادتها والخضوع لها.

---

(١) الـصابئة المندائيون - الليدى دراوور ص٢١، وانظر الموسوعة الميسرة ص ٧٢٧.

وهي معتقدات فاسدة نهى الإسلام عنها ودعا الناس إلى عبادة الله الواحد والإقرار بالوحدانية والعبودية له، كما جاء في قوله تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1].

ففي هذه الآية دعوة إلى عبادته سبحانه وتعالى وحده لأنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

أما عن عبادتهم للكواكب وتعظيمها وسجودهم لها. دليل على غلوهم وفساد عقيدتهم.

ويعل الدكتور أبو ريدة عن هذا المعتقد قائلا:

قد يجوز أنهم بقايا ديانة قديمة اختلطت بها الفلسفة، كما هو بين في روح التنزيه المسيطرة عليهم في تصورهم للذات الإلهية، ولعل نحلتهم توحيد قديم يرجع لإبراهيم عليه السلام، عادت إليه بعض التصورات البابلية القديمة واختلطت به بعد فتح الإسكندر الأكبر للشرق عناصر فلسفية [2].

٢ـ الطهارة :

والتطهير عند المندائيين فرض على الذكر والأنثى على السواء وبدون تمييز بينهما، كما تكون الطهارة في الماء الحي غير المنقطع عن مجراه الطبيعي. والطهارة من الجنابة عندهم تكون بالانغماس في الماء ثلاث دفعات مع استحضار نية الاغتسال من غير قراءة لأنها لا تجوز على جنب.

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٧.

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام د./ محمد عبدالهادي أبوريدة ص٢٣.

وعقب الارتماس في الماء يجب الوضوء، وهو واجب لكل صلاة حيث يتوضأ الشخص وهو متجه إلى نجم القطب، فيؤديه على هيئة تشبه وضوء المسلمين مصحوبا بأدعية خاصة.

وهناك أمور إذا حدثت من الإنسان يبطل وضوءه وهي البول والغائط والريح، ولمس الحائض والنفساء[1].

٣ـ الصلاة :ـ

والصلاة عندهم تؤدي ثلاث مرات في اليوم، قبيل الشروق، وعند الزوال وقبيل الغروب، وتستجب أن تكون الصلاة في جماعة في أيام الآحاد والأعياد، والصلاة عندهم لها كيفية خاصة بهم لأنهم يشترطون فيها الوقوف والركوع والجلوس على الأرض من غير أن يكون فيها سجود، والصلاة عندهم تقدر بزمن مقداره ساعة وربع الساعة، وكيفيتها عندهم أن يتوجه المصلى خلالها إلى الجدى بلباسه الطاهر حافي القدمين، يتلو سبع قراءات بمجد فيها الرب مستمدا منه العون طالبا منه تيسير اتصاله بعالم الأنوار[2].

٤ـ الصوم :ـ

والصوم عند الصابئة يختلف فيه الناس اختلافا بينا، فقد كان الصوم عند الصابئة المندائية قديما على نوعين: الصوم الكبير، ويشمل الصوم عن كبائر الذنوب والأخلاق الرديئة، والصوم الصغير الذي يمتنعون فه عن آكل اللحوم المباحة لهم لمدة ٣٢ يوما متفرقة على

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ص٧٢٨.

(٢) المرجع السابق ص٧٢٧.

طـول أيام السنة. أما صابئة اليوم فإنهم يحرمون الصوم لأنه من باب تحريم ما أحل الله.

٥ـ التعميد وأنواعه :ـ

يعتبر التعميد وأنواعه من أبرز معالم هذه الديانة ولا يكون إلا فـي الماء الحي، ولا تتم الطقوس إلا بالانغماس في الماء سواء أكان الوقت صيفا. أو شتاء، وقد أجاز لهم رجال دينهم مؤخراً الاغتسال في الحمامات وأجازوا لهم كذلك ماء العيون النابعة لتحقيق الطهارة،

ويجب أن يتم التعميد على أيدي رجال الدين، ويكون في حالات الـولادة والـزواج، وعمـاد الجماعة وعماد الأعياد وهي على النحو التالي:

أ- **الولادة:** يعمد المولود بعد ٤٥ يوما ليصبح طاهراً من دنس الـولادة حيث يُدخل هذا الوليد في الماء الجاري إلى ركبتيه مع الاتجاه جهة نجم القطب، ويوضع في يديه خاتم أخضر من الآس[1].

ب- **عماد الزواج:** يتم في يوم الأحد وبحضور ترميدة وكنزبرا -مـن رجـال الدين- يتم بثلاث دفعات في الماء مع قراءة من كتاب الفلستا وبلباس خاص، ثم يشربان من قنينة ملئت بماء أخذ من النهر يـسمى (ممـبوهة) ثم يطعمان البهثة ويدهن جبينهما يدهن السمسم، ويكـون ذلـك لكـلا العروسين لكل واحد منهما على حدة، بعد ذلك لا يُلمـسان لمدة سبعة أيام حيث يكونان نجسين، وبعد الأيام السبعة من الزواج يعمدان من جديد، وتعمد معهما كافة القدور والأواني التي أكلا فيها أو شربا فيها.

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ص٧٢٨.

ج- **عماد الجماعة**: وهذا التعميد يكون في كل عيد (بنجه) من كل سنة كبيسة لمدة خمسة أيام ويشمل أبناء الطائفة كافة رجالا ونساءاً كباراً وصغاراً، وذلك بالانغماس في الماء الجاري ثلاث دفعات قبل تناول الطعام في كل يوم من الأيام الخمسة، والمقصود منه التكفير عن الخطايا والذنوب المرتكبة في بحر السنة الماضية، كما يجوز التعميد في أيام البنجة ليلا ونهارا على حين أن التعميد في سائر المواسم لا يجوز إلا نهاراً وفي أيام الآحاد فقط.

د- **عماد الأعياد**: وتتمثل فيما يلي:

١- العيد الكبير: عيد ملك الأنوار حيث يعتكفون في بيوتهم ٣٦ ساعة متتالية لا تغمض لهم عين خشية أن يتطرق الشيطان إليهم لأن الاحتلام يفسد فرحتهم،وبعد الاحتفال مباشرة يرتمسون، ومدة العيد أربعة أيام، تنحر فيه الخراف ويذبح فيه الدجاج ولا يقومون خلاله بأي عمل دنيوي.

٢- العيد الصغير: يوم واحد فقط في شريعهم ويباح أن يمتد لثلاثة أيام من أجل التزاور، ويكون هذا العيد بعد انقضاء مدة العيد الكبير بمائة وثمانية عشر يوما.

٣- عيد البنجة، سبق الحديث عنه، وهو خمسة أيام تكبس بها السنة ويأتي بعد العيد الصغير بأربعة أشهر.

٤- عيد يحي، وهو يوم واحد من أقدس الأيام عندهم، ويأتي بعد عيد البنجة بستين يوما، وفيه كان ولادة النبي يحي عليه السلام

الـــذي يعتبرونه نبيا خاصا بهم، والذي جاء ليعيد إلى دين آدم صفاءه بعد أن دخله الانحراف بسبب تقادم الزمان[1].

ومن أنواع التعميد عندهم كذلك. تعميدالمحتضر ودفنه:

عـــندما يحتضر الصابئ يجب أن يؤخذ وقبل زهوق روحه إلى المـــاء الجاري ليتمم تعميده، ولهم أمور تتعلق بهذا التعميد تتمثل فيما يلي:

١- من مات من دون عماد يعد نجسا ويحرم لمسه.

٢- أثـــناء العمـــاد يغـــسل الإنـــسان وهو متجه إلى نجم القطب الـــشمالي، ثم يعاد إلى بيته ويجلس في فراشه بحيث يواجه نجم القطب أيضا حتى يوافيه الأجل.

٣- بعد ثلاث ساعات من موته يغسل ويكفن ويدفن حيث يموت إذ لا يجو نقله مطلقا من بلد إلى بلد آخر.

٤- مـــن مـــات غـــيلة أو فجأة فإنه لا يغسل ولا يلمس، ويقوم الكنزبرا بواجب العماد عنه.

٥- يدفن الصابئ بحيث يكون مستلقيا على ظهره ووجهه ورجلاه متجهة نحو الجدي حتى إذا بعث واجه الكوكب الثابت بالذات.

٦- يـــضعون في فم الميت قليلا من تراب أول حفرة تحفر لقبره فيها.

٧- يحرم على أهل الميت الندب والبكاء والعويل، والموت عندهم مدعاة للسرور، ويوم المأتم من أكثر الأيام فرحا حسب وصية

---

(١) الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية لرافد الشيخ عبدالله نجم ص٩١، وانظر الموسوعة الميسرة ص٧٢٩.

يحي لزوجته.

٨- لا يوجد لديهم خلود في الجحيم، بل عندما يموت الإنسان إما أن ينتقل إلى الجنة أو المطهر حيث يعذب بدرجات متفاوتة حتى يطهر فتنتقل روحه بعدها إلى الملأ الأعلى، فالروح خالدة والجسد فاني"[1].

طبقات رجال الدين:

يشترط في رجل الدين أن يكون سليم الجسم صحيح الحواس، متزوجا منجبا غير مختون، وله كلمة نافذة في شئون الطائفة كحالات الولادة والتسمية والتعميد والزواج والصلاة والذبح والجنازة، ورتبهم على النحو التالى:

١- **الحلالي:** ويسمى الشماس يسير في الجنازات، ويقيم سنن الذبح للعامة، ولا يتزوج إلا بكراً، فإذا تزوج ثيبا سقطت مرتبته ومنع من وظيفته إلا إذا تعمد هو وزوجته ٣٦٠ مرة في ماء النهر الجاري.

٢- **الترميدة:** إذ فقه الحلالي الكتابيين المقدسين سدره انشماثا والنياتي أي كتابي التعميد والأذكار فإنه يتعمد بالإرتماس في الماء الموجود في المندى ويبقى بعدها سبعة أيام مستيقظا لا تغمض له عين حتى لا يحتلم، ويترقى بعدها هذا الحلالي إلى ترميدة، وتنحصر وظيفته في العقد على البنات الأبكار.

٣- **الأبيسق:** الترميدة الذي يختص في العقد على الأرامل يتحول إلى أبيسق ولا ينتقل من مرتبته هذه.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ص٧٣١.

٤- **الكنزبرا:** الترميذة الفاضل الذي لم يعقد على الثيبات مطلقا. يمكنه أن ينتقل إلى كنزبرا وذلك حفظ كتاب الكنزاربا فيصبح حينئذ مفسرا له، ويجوز له ما لا يجوز لغيره، فلو قتل واحداً من أفراد الطائفة لا يقتص منه لأنه وكيل الرئيس الإلهي عليها.

٥- **الرويش أمه:** أي رئيس الأمة، وصاحب الكلمة النافذة فيها ولا يوجد بين صابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة لأنها تحتاج إلى علم وفير وقدرة فائقة.

٦- **الربائي:** وفق هذه الديانة لم يصل إلى هذه الدرجة إلا يحي بن زكريا عليهما السلام، كما أنه لا يجوز أن يوجد شخصان من هذه الدرجة في وقت واحد، والرباني يرتفع ليسكن في عالم الأنوار وينزل ليبلغ طائفته تعاليم الدين ثم يرتفع كرة أخرى إلى عالمه النوراني الرباني[١].

وللصابئة المندائية أفكار ومعتقدات أخرى غير التي ذكرنا ومن بين هذه الأفكار ما يتفق مع اليهود وفي بعضه الآخر ما يتفق مع النصارى، وثالثة يغايرون بها اليهودية والنصرانية، وإلى هذا المعني يشير الإسفراييني بقوله: إن الصابئة يؤمنون بقدم العالم، وقد كانوا في بعض دينهم مع اليهود، وفي بعضه الآخر مع النصارى، كما جاءوا من أنفسهم بأشياء خالفوا فيها الاثنين[٢].

وتتمثل هذه الأفكار اتفاقا واختلافا فيما يلي:

---

(١) الصابئة في حاضرهم وماضيهم، عبدالرازق الحسني ص٧١.

(٢) التبصير في الدين للاسفراييني ص١٣٧ وما بعدها.

أ- البكارة: تقوم والدة الكنزبرا أو زوجته بفحص كل فتاة عذراء بعد تعميدها وقبل تسليمها لعريسها وذلك بغية التأكد من سلامة بكارتها.

ب- الخطيئة: إذا وقعت الفتاة أو المرأة في جريمة الزنا فإنها لا تقتل بل تهجر وبامكانها أن تكفر عن خطيئتها بالارتماس في الماء الجاري.

ج- الطلاق: لا يعترف المندائيون بالطلاق إلا إذا كانت هناك انحرافات أخلاقية خطيرة فيتم التفريق عن طريق الكنزبرا.

د- السنة المندائية ٣٦٠ يوما في ١٢ شهر، وفي كل شهر ثلاثون يوما مع خمسة أيام كبيسة يقام فها عيد البنجة.

هـ- يعتقدون بصحة التاريخ الهجري ويستعملونه، وذلك بسبب اختلاطهم بالمسلمين، ولأن ظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان مذكورا في الكتب المقدسة الموجودة لديهم.

و- يقدسون يوم الأحد كالنصارى ويعظمونه ولا يعملون فيه أي شيء على الإطلاق.

ز- ينفرون من اللون الأزرق النيلي ولا يلمسونه مطلقا.

ح- ليس للرجل غير المتزوج من جنة لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ط-يتنبئون بحوادث المستقبل عن طريق التأمل في السماء والنجوم وبعض الحسابات الفلكية.

ي-لكل مناسبة دينية ألبسة خاصة بها، ولكل مرتبة دينية لباس خاص بها يميز عن غيرها.

ك- إذا توفي شخص دون أن ينجب أولادا فإنه يمر بالمطهر ليعود بعد إقامته في العالم الآخر إلى عالم الأنوار ثم يعود إلى حالته البدنية مرة أخرى حتى تتلبس روحه في جسم روحاني فيتزوج وينجب أطفالا.

ل-يؤمنون بالتناسخ ويعتقدون بتطبيقاته في بعض جوانب عقيدتهم.

م-للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء على قدر ما تسمح له به ظروفه.

ن-يرفضون شرب الدواء، ولا يعترضون على الدهون والحقن الجلدية.

س-الشباب والشابات يأتون إلى الكهان ليخبروهم عن اليوم السعيد الذي يمكنهم أن يتزوجوا فيه، وكذلك يخبرون السائلين عن الوقت المناسبة للتجارة أو السفر وذلك عن طريق علم النجوم.

ع-لا تؤكل الذبيحة إلا أن تذبح بيدى رجال الدين وبحضور الشهود، ويقوم الذبائح بعد أن يتوضأ يغسها في الماء الجاري ثلاث مرات ثم يقرأ عليا أذكاراً دينية خاصة ثم يذبحها مستقبلا الشمال، ويستنزف دمها حتى آخر قطرة،ويحرم الذبح بعد غروب الشمس أو قبل شروقها إلى في عيد البنجة.

ف-تنص عقيدتهم على أن يكون الميراث محصوراً في الابن الأكبر لكنهم لمجاورتهم المسلمين فقد أخذوا بقانون

المواريث الإسلامي[1].

✦ تعقيب على مذاهب الصابئة : -

من جملة على مذاهب الصابئة:

من جملة ما سبق نستطيع أن نقول إن الصابئة المذكورة في القرآن هم الطائفة الدينية منهم وهؤلاء هم الذين اختلف العلماء في مذاهبهم ما بين قائل بأنهم قوم بين النصارى والمجوس، أو أنهم بين اليهود والمجوس، أو أنهم بين اليهود والنصارى، أو أنهم صنف من النصارى ألين قولا منهم، أو هم قوم من المشركين لا كتاب لهم، أو هم قوم من المجوس أو أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور، أو أنهم قوم من المجوس أو أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور، أو أنهم قوم يصلون إلى القبلة ويعبدون الملائكة، أو أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي.

ومهما يكن من أمر هذه الآراء فالغالب على هذه الفرقة الدينية من الصابئة أنها من الأديان القديمة التي امتزجت فيها المعتقدات والأفكار بعقائد مختلفة كالبراهمة والمجوس والسرية، كما يشبهون اليهود والنصارى والمسلمين، وكذلك يشبهون الفلاسفة وأصحاب المذاهب العقلية في تفسير الوجود والموجودات.

وهم كما يشبهون الجميع يخالفون الجميع. وتعليل هذه المخالفة أنهم تشبثوا بأصل قديم لا يفارقونه.

أما تعليل المشابهة فليس بالعسير، فإن مقام الصابئة عند خليج فارس يجعلهم في طريق كل ملة تتردد أبناؤها على ذلك الأقليم أو

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ص٧٣٠ وما بعده.

يقيمون فيه. وقد تردد عليه من قديم الزمان هنود وفرس وطورانيون وعرب وسريان وفينيقيون، واتصل به أبناء البحار، كما اتصل به أبناء الصحراء، فليس بالعجيب أن تعلق بعقيدة الصابئة الأقدمين مسحة من كل ملة على طول الزمن وتتابع العهود.

فمن مشابهتهم للبراهمة أنهم يتحرجون من ملامسة غيرهم ويتطهرون إذ لمسوا غريبا في حالة من حالات العبادة.

ومن مشابهتهم لأصحاب العقائد الأورفية أو السرية أنهم يكتمون كتبهم أشد الكتمان، ولا يباشرون شعائرهم مع الغرباء، ويتقاسمون الخبز المقدس علامة على الأخوة الروحية، ويعتقدون أن الكون كونان وأن الخلق خلقان، فالكون الظاهر غير الكون الباطن، ولكل مخلوق في العلانية صورة محجوبة في عالم الغيب، حتى آدم وبنوه منهم أهل ظاهر وأهل باطن لا يراهم من يعيشون في العلانية[1].

ومن مشابهتهم للمجوس أنهم يتوجهون إلى قطب الشمال وإلى الكواكب عامة وهذا إن دل فإنما يدل على تقديسهم وتعظيمهم لها، والدليل على ذلك ما حكى عنهم من قرباناتهم إذ كانوا يأتون إلى هيكل القمر لابسين البياض ومعهم مجامر الفضة وأواني الفضة، وكذلك بناء الهياكل للنجوم والكواكب وبخاصة الشمس وعبادتها والخضوع لها.

ومن مشابهتهم للمسيحيين أنهم يدينون بالعماد ويبجلون يوحنا المعمدان أو يحي، ولكن التعميد أعم عندهم من التعميد في المسيحية، ويندر منهم من يسكن بعيدا من الأنهار لحاجتهم كل يوم إلى العماد، وإلى التطهر بالماء. ومن مشابهتهم للمسلمين أنهم يقيمون الصلاة

---

(١) انظر أبو الأنبياء لعباس محمود العقاد ص١٠٩.

مـــرات في اليوم، ويقولون أنها فرضت عليهم سبعا ثم أسقطها يوحنا عنهم وأدخل بعضها في بعض واكتفى منها بثلاث، ولكنهم لا يسجدون في صلاتهم كما عرفنا ولكنهم يكتفون بالقيام والركوع، وهم يتوضأون قـبل الصلاة ويغتسلون من الجنابة ويعرفون نواقض الوضوء ولكنهم يغالون فيها.

ومـــن مـــشابتهم لليهود أنهم يذبحون كذبائح اليهود ويقدمون القـــرابين للهياكل والأصنام كما يفعل اليهود، ولهم يوم في ختام السنة كـــيوم الـــيهود ولكنهم يحرمون الختان ولا يبنون لهم هيكلا قائما، بل يبنون الهيكل من القصب كما تبني الخيام، موقوتا عند الحاجة إليه في الأعياد.

ولهم أقوال في تنزيه العقل الإلهي تشبه أقوال الفلاسفة، ومنهم مـــن يحرم الطعام الذي حرمه أتباع فيثاغورث كالبصل ويضيفون إليه أنواعا من الخضر كالكرنب ولحوم الحيوان ذي الذنب، لأنهم يستوحون الغـــيب فـــي الرؤيا، وهذه الأطعمة تمنع الرؤيا الصادقة، والغالب أنهم عرفوا شيئا من أقوال حكماء اليونان من طريق القساوسة النسطوريين الـــذين هاجـــروا إلـــى جـــنوب العـــراق في صدر المسيحية هربا من الاضـــطهاد، وكان أكثرهم يعرفون اليونانية ويقرأون الفلسفة ولا سيما الرواقية والفيثاغورثة.

كما لا يخفى تأثرهم بالأفلاطونية الحديثة مثل الاعتقاد بالفيض ونظرية الصدور.

وبالجملة فإن مذهبهم الفلسفي مذهب توفيقي استمدوا أصوله مـــن عـــدة مـــصادر هي الأفلاطونية والأرسطية والأفلوطينية ممزوج بعناصر من السحر والتنجيم.

الخاتمة

هـذه صـفحات قدمت فيها فكرة مبسطة عن الصابئة نشأتهم وعقائـدهم أردت من خلالها أن اكشف اللثام عنهم موضحا أهم العقائد التـي يدين بها أتباعها في القديم والحديث ليكون القارئ الكريم على بينة من أمرهم.

هذا وقد أسفر البحث والدراسة عن النتائج الآتية:

أولا: لم يختلف العلماء ورجال البحث العلمي والمؤرخون في قضية ما مـن قـضايا الـبحث قدر اختلافهم في شأن الصابئين وتاريخهم وطقوسـهم وعقـيدتهم، ومن هنا اتجهوا اتجاهات مختلفة حينا ومتناقضة أحيانا.

ثانيا: إن الـبحث التاريخـي يدلنا على أن اسم الصابئة لم يطلق علي مـذهب معـين أو فرقة بعينها، وإنما يطلق على فرق ومذاهب متشعبة تندمج كلها تحت هذا الاسم ويجمعها جامع هذا المفهوم على ما بينها من اختلاف في العقيدة والفروع.

ثالثا: أثـبت الـبحث أن المصادر القديمة التي تكلمت عن الصابئة لم تكـشف الـنقاب ، ولم تحدد ملامح الصابئة قديما وملامحهم في العـصور المتعاقبة، هذا فضلا عن الكتب الحديثة التي دارت في هـذه الدائرة المفرغة والتى لم تستطع أن تضيف جديدا أو تزيد علـى مـا قاله الأولون اللهم إلا محاولات واجتهادات لم توضح الحقيقة.

رابعا: إن الـباحث لا يستطيع أن يصل بصورة قطعية إلى مبدأ الدين

الصابئي، وإلى التطورات التي طرأت عليه في القرون المتوسطة.

خامساً: لم نجد في الموارد الإسلامية شيئا عن صابئة الجاهليين وكل ما ذكروه عن الصابئة إنما هو متأخر أخذ عن الصابئة أو عمن اتصل بهم في الإسلام.

سادساً: اثبت البحث والدراسة أن هناك فرق بين الصابئة والحرانيين والمندائيين من حيث العقيدة والشريعة والطقوس، وإن كان هذا لا يمنع القول من جود بعض أوجه الاتفاق بينها.

سابعاً: أثبت البحث أيضا أن الصابئة اتخذوا الملائكة لهم شفعاء ووسطاء يشفعون لهم عند الله، ومن هنا فزعوا إلى الهياكل يتقربون إليها لتقربهم إلى الله.

ثامناً: امتد دين الصابئة في تعظيم الكواكب وتأليههم لها إلى أمم وشعوب مثل ملوك العراق الأول الكلدانيون واليونان والروم والقبط والهنود.

تاسعاً: إطلاق اسم الصابئة على الحرانيين كان ذلك تقية منهم وخشية أن يصيبهم مكروها من الخليفة المأمون.

عاشراً: أثبتت الدراسة أن ثمة خلاف واضح بين الصابئة والحرانيين وذلك لأن الصابئة تدعى أن مذهبها هو الاكتساب والحرانية تدعي أن مذهبها هو الفطرة.

الحادي عشر: اتفاق الحرانية وفرقة السامرة اليهودية في القول بأن لله طريقتان في خلقه وأمره ، وإن اختلفت معها في تحديد هذا المفهوم ووجه الشبه هنا اتخاذ الفريقين الأوثان آلهة من دون الله وعكوفهم على عبادتها مع أنها لا تملك لهم خيراً ولا تمنع

عنهم ضراً.

الثاني عشر: تعترف الصابئة بنبوة شيث بن آدم عليه السلام وهو أوريا الأول، وتنسب دينها إليه.

الثالث عشر: أثبت البحث أن الحرانيين ينكرون البعث ويقولون بالتناسخ والحلول.

الرابع عشر: مذهب الصابئة وعقيدتهم مذهب توفيقي استمد أصوله من عدة مصادر كالبراهمة والمجوس واليهود والنصاري، كما أنه استمد أصوله من مصادر أفلاطونية وأرسطية وأفلوطينية ممزوج بعناصر من السحر والتنجيم.

هذا ما تيسير لي من البحث والدراسة، فما كان فيه من فضل فمن الله وحده، وما كان فيه من تقصير فتلك طبيعة البشر والكمال لله وحده، والله أسأل أن يتجاوز عني فيما قصرت فيه فالكمال غاية لا تدرك، وحسبى أنني أردت الخير في أن أسهم بقلمي واكتب وأخط ما شاء الله أن يكون وقصدت عموم النفع كما أرجو الله تعالى وأتضرع إليه أن يجعل هذا العمل قربة إليه وأن يعم به النفع وأن يجعله في ميزان حسناتنا وأن يثقل به موازيننا وأن يهدينا سواء السبيل إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أعده

أ.د/ أحمد فهمي علي محمد

أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات بسوهاج

١- القرآن الكريم جل من أنزله.

٢- الأديان والمذاهب الشرقية د./ عثمان عبدالمنعم عيش.

٣- الأديان في القرآن د./ محمود بن الشريف ط./ دار المعارف.

٤- الأسفار المقدسة. د./ على عبد الواحد وافي.

٥- الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٦- الصابئة وأثرها في الفكر العربي د./ جبور عبدالنور ط./ دار المعارف.

٧- الصابئة قديما وحديثا، عبدالرازق الحسني.

٨- العقائد والفرق الدينية، للأستاذ/ هادي حسين حمود.

٩- الفرق بين الفرق للبغدادي -تحقيق محمد بدر ط./ القاهرة.

١٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ط./ مكتبة بغداد.

١١- الفهرست لابن النديم ط./ الاستقامة القاهرة

١٢- الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق محمد سعيد كيلاني ط./ دار مصعب بيروت .

١٣- المعجم الوجيز في اللغة العربية ط./ مجمع اللغة العربية، القاهرة.

١٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - تأليف / د./ ماتع بن حماد الجُهني ط./ دار الندوة العالمية للطباعة.

١٥- المقدمة لابن خلدون.

١٦- التبصير في الدين للإمام الاسفراييني.

١٧- أبكار الأفكار للآمدي.

١٨- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي ط./ القاهرة.

١٩- أديان العرب في الجاهلية د./ على الجارم ط. السعادة.

٢٠- أبو الأنبياء للاستاذ/ عباس محمود العقاد ط./ مطابع أخبار اليوم.

٢١- تاريخ العرب قبل الإسلام د./ جواد على. ط./ المجمع العلمي العراقي.

٢٢- تاريخ الفلسفة في الإسلام دي بيور - ترجمة د./ محمد عبدالهادي أبوريدة ط./ مكتبة النهضة المصرية.

٢٣- تاج العروس في جواهر القاموس - محمد مرتضى الحسيني.

٢٤- تلبيس إبليس لابن الجوزي ط./ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥- تاريخ اليعقوبي.

٢٦- دائرة المعارف الإسلامية ط./ الشعب.

٢٧- روضـــات الجنات في أحوال العلماء والسادات للخونساري، ط. / طهران.

٢٨- السيرة النبوية لابن هشام.

٢٩- طبقات الأمم، صاعد الأندلسي.

٣٠- مـــروج الـــذهب أبـــي الحـــسن علـــى بن الحسين بن على المسعودي - تحقيق الأستاذ/ محمد محي الدين عبدالحميد.

٣١- معجم البلدان - ياقوت الحموي ط./ بيروت.

٣٢- نخـــبة الدهر في عجائب البر والبحر للدمشقي (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن على بن أبي طالب ط./ بغداد.

٣٣- مفاتيح العلوم للخوارزمي.

٣٤- نـــشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د./ على سامي النشار ط./ دار المعارف.